

محمد السعيد الرجراجي

# رجراجة وتاريخ المغرب

2004 - 1424



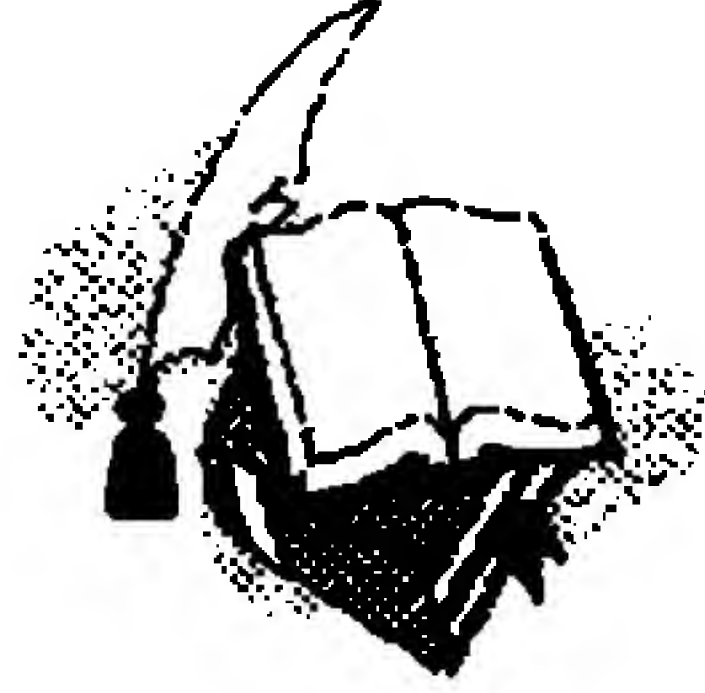
محمد السعيد الرجراجي

# رجراجة وتاريخ المغرب

1425هـ - 2004م

منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر

13



الكتاب : رجاجة وتاريخ المغرب

المؤلف : محمد السعيدى الرجراجى

الغلاف : بريشة الفنان عبد الوهاب الزين

الإيداع القانونى 2004 / 1158

ردمك 9954-8177-5-1

الطبعة الاولى 2004/1425

مطبعة : ربا نيت **Rabat Net Maroc**

Av. Hassan II Cité Manar

n° 6/3 Diour Jamaâ

Rabat - Tél.: 061 20 37 76

061 07 83 63

طبع هذا الكتاب بدعم من جمعية حوض أسفى  
مكتب فرع الرباط

رجـراجة وتاريخ المغرب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## إهداء

- إلى والدي المنعمين في دار الخلود إن شاء الله،  
أبي الذي غرس في نفسي حب البحث والعلم والاستمرار والحق،  
وأمي التي أعطتني المثل الحسن في الصبر والتحمل والأمل.
- إلى زوجتي أم أولادي التي حافظت على أوراق ووثائقي ووفرت  
الوقت والراحة ليخرج هذا العمل.  
وغیره إلى الوجود.

أهديهم هذا المجهود



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### - تقديم -

في كلمة للسيد الوزير الاستاذ الدكتور احمد التوفيق بالدور الرجرجاني بالصويرة في ربيع هذه السنة اشار إلى العناية الملكية بالرجرجانيين وأدوارهم (مواسمهم) وأن النية متجهة للمزيد، ومن ضمنها إنشاء معلمة بضريح الشيخ الصوفي التابعي شاكربن يعلا الرجرجاني ..

ولايسع الإنسان إلا أن يغتبط بهذا النبا الذي يدل على المكانة التي حظي بها الرجرجانيون منذ حملوا لواء الجهاد والمثاغرة، خاصة في العهد العلوي المجيد، وما سيحظون به في عهد القائد الباني.

إن المعلمة المزمع إقامتها هي معلمة للخير والاعتراف بالجميل، والربط القوي بين ماض جميل وحاضر يتفاعل ليكون أجمل ليضئ بظلاله على مستقبل واعد بالعطاء والتقدم.

لقد كان لرجرجاة مقامهم داخل المد الجغرافي لوطننا، وكانت بلادهم علامة بارزة من علامات هذا المغرب المضيئة.. وكانت انشطتهم متعددة، وتحركاتهم هادفة، وإن تأخر ركبهم شأن غيرهم لظروف لا يد لهم فيها، حتى بت الموسم المقام في ربيع كل سنة - على علاقته - هو العلامة المميزة لهم كان لم تكن لهم مدارس علمية، ولا شخصيات بارزة، ولا قضاة ولا علماء ولا مؤلفون ولا مجاهدون ولا متصرفون ولا رجال للتجارة والمال والكسب والرحلة..

ما عرف الرجرجانيون في التاريخ إلا بالخير والفضل والولاء والطاعة أولياء الامور.

وما تقدموا لصفوف للمجاهدة والمطاولة لشعورهم بأن سبقيتهم للإسلام تفرض عليهم أن يكونوا حماة، غزاة، رسلا للمحبة والتصالح. وقد عرف لهم ملوكنا العلويون هذه الخصال، فكلفوهم في أكثر من مرة بإصلاح ذات البين بين القبائل المتحاربة وإرجاع الأمن الى نصابه إن إنشاء معلمة رجرجانية لن يقتصر دورها حسب فهمنا - على احتفال سنوي ليوم أو يومين أو ثلاثة ولكنها مناسبة لعمل مستمر مبني على الجدية والتلقائية والنظرة الحكيمة، والغاية التي يتوخاها منها أمير المؤمنين ...

وعساها تكون فتحا جديدا، ونبراسا مضيئا يعيد لرجرجاة تألقهم، ولادوارهم الدينية والإنسانية والعلمية وهجيتها، ولتضحياتهم اعتبارها وقيمتها في عصر محمد السادس الذي نرجوه أن يكون عصر رخاء ورقي وأمن وتآلق ونهوض وفتح مبين.

الرباط في جمادى الاولى 1425 - 10 أكتوبر 2004

محمد السعيد الرجرجاني



## إطالة

بسم الله الرحمن الرحيم  
و الصلاة و السلام على رسوله الكريم و ءاله و صحبه.

توالى في السنوات الأخيرة إصدار كتب في حجم (السلسلة الجيبية) من مختلف المنابر، وقد سلت فراغا لا يستهان به في أزمة الكتب والثقافة بالمغرب، وساعدت في راحة من تشكو جيوبهم من محدودية قاتلة، واقتصت كذلك في الوقت بالنسبة للقارئ العادي أو لصاحب الاختصاص.. ولكن يخشى أن تكون قد زودته بمصل من الكسل العقلي والبحثي فاستمررا الراحة خاصة إذا كانت بعض هذه الكتب هزيلة المستوى عناوينها أكثر من صفحاتها وصفحاتها كإعلانات بريقها يبهز ولمعانها يدوخ وهذا كل شيء.

و مع ذلك فنحن نقدم اليوم هذا الكتاب الصغير الحجم لدواع:

1) إن ما كتب حول رجراجة حتى الآن فيه بعض الطول الزائد، و فيه بعض التداخل، ورغم أهمية ذلك، فإن كثيرا من القراء ليس بإمكانهم الصبر على المتابعة إلى النهاية، وليس بإمكانهم استخراج اللب من بين عدد من الآراء والنظريات والإحالات، مما قد يزهدهم في الاقبال على القراءة جملة وتفصيلا

2) إن الناحية الرجراجية الغنية بصوفييتها وجهادها وإنسانها واقتصادها وعلمائها في حاجة إلى كتاب يبين ذلك عن طريق اللوحة والإشارة والسهولة والإيجاز بغية المشاركة في تيسير بلورة جديدة نتمناها موضوعية بقدر ما نستطيع لمعرفة هذه الناحية أكثر والاطلاع على مآثرها وقضية صحبة رجالها السبعة دون تطويل ممل أو تقصير مخل.

3) إن هذه الأحاديث كتبت في أوقات مختلفة بعضها نشر بكتاب أو مجلة أو نشرة، وبعضها لم ير النور لحد الآن ، فأحببنا أن نضمها كلها لتستقر بين دفتي كتاب، وإن تكن بعض المعلومات مكررة فذلك مما اقتضته المنهجية حسب الظرف والمناسبة والمصدر الذي نشرت فيه، ولكنها لا تخلو من إضافة

و عسانا نكون قد وضعنا لبنة جديدة في صرح هذه الناحية تضاف إلى صروح أخرى أقامها رجال مخلصون وفقهاء و مؤرخون اعتمدناها فوجب منا الدعاء لهم بالأجر والثواب ، واستحقوا بذلك شكرنا وشكر كل الأجيال.  
و عسانا نكون قد بلغنا بعض ما إليه نهدف ، والله الموفق.

مراكش في 7 ربيع الاول 1422/20-5-2002



## الفصل الأول

### - التعريف من هم رجـراجة ؟

أ- قبيلة رجـراجة إحدى قبائل المصامدة بالمغرب الأقصى، وحد بلاد المصامدة من النهر الأعظم المسمى أم الربيع الذي يهبط من جبال صنهاجة إلى البحر الأعظم وعليه قبيلتان من المصامدة إحداهما هسكورة والأخرى دكالة، وآخر بلادهم الصحراء التي يسكنها قبائل لمتونة ومسوفة وصرطة وهؤلاء ليسوا من المصامدة، قال في المعجب " فهذا حد المصامدة عرضا و حدما طولا من جبل درن إلى البحر الأعظم وقبائلها التي يطلق عليها هذا الاسم هسكورة وصنهاجة ودكالة وحاحة ورجـراجة و لمطة وحنفيسة ومنتاة وهرغة وقبائل أهل تينمل، وحول مراکش منهم هزميرة وهيلانة ومزرجة فهؤلاء يجمعهم اسم المصامدة " <sup>1</sup>

ب- فقبيلتهم إذن بربرية من هذه القبائل التي كانت تعمر المغرب و التي لم تختلط أنسلها بالعرب وتمتزج امتزاجا كلياً إلا بعد حركة عبد المومن بن علي الموحي ثم حفيده يعقوب المنصور حيث قصدا خضد شوكة العنصر البربري و تقليل فرص الثورة لديه، وقد اثمرت هذه السياسة لأن العنصرين البربري والعربي غير بعيدين عن بعضهما حيث يقال: إن البرابرة وفدوا من اليمن والجزيرة العربية بعد العصر المطير، وقد أنت تلك الحركة تلا قحاً غريباً و كونت مجتمعا مغربيا مسلما متجانسا يصعب أن ترد فيه شخصا إلى أصوله الأولى.

ج- «و أما ركراكة فكانت تشمل في ذلك العصر منطقة واسعة بين دكالة وحاحا و معظمها جنوبي وادي تانسيفت يحدها البحر غربا، و تدخل فيها منطقة وادي شيشاوة، و تشمل جزءا على الأقل من منطقة متوكة الحالية التي مركزها بوابض، و يستفاد من التشوف أن قاعدة ركراكة في عصر التادلي كانت هي أكوز» <sup>2</sup>

ح- "وقد نزلت رجـراجة بالسوس و الصحراء من وادي شيشاوة إلى فم القاهرة و حاحة و الشياظمة و احوازها و الساقية الحمراء و عددهم أربعمئة أسرة حفظ منهم القراءان و المدونة ثلاثمئة رجل و ثلاثمئة امرأة" <sup>3</sup>

د- رجـراجة-هذه القبيلة هي مقر السادات الرجراجيين المشهورين بالمغرب وبالأخص بقبيلة الشياظمة حيث توجد أضرحة أسلافهم، و قبيلة رجـراجة التي ينتسب إليها هؤلاء الأفاضل تستقر بجنوب نهر تانسيفت و كان لها فضيلة السبقية إلى الإسلام في عصر ظهوره كما كانت من أولى القبائل المغربية المناصرة للإسلام و المدافعة عنه و بالأخص عند ظهور برغواطية بتامسنا، واشتهر منهم سبعة رجال هم المعروفون برجال رجـراجة وهم....<sup>4</sup>



و حتى لا نطيل نكتفي بهذا دون الرجوع إلى ما جاء في تاريخ ابن خلدون و غيره من الكتب التي تبقى لها اهميتها و فائدتها خاصة ككتاب (السيف المسلول، فيمن انكر على الرجراجيين صحبة الرسول) للمؤلف عبد الله بن محمد بن البشير السعدي الرجراجي الذي بحث القضية من كل الجوانب وتابع النقولات و تقصلاها و تقرأها. وكذلك الفقيه الكانوني في ياقوته.

---

## هوامش الفصل الاول

---

- 1 - المعجب في تلخيص اخبار المغرب / عبد الواحد المراكشي ط القاهرة / 1368-1949 عن الياقوتة للكانوني
- 2 - التتشفوف إلى رجال التصوف - / ابن الزيات التادلي / تحقيق أحمد التوفيق
- 3 - المعسول / المختار السوسي ج 4 ص 9 / ط فضالة - 1380-1960
- 4 - كتاب المغرب / الصديق بن العربي ص: 144 ط: 3 1404/1984



## الفصل الثاني

### صحبـتـهم و زواياهم:

#### 1 - الصـحـبة.

صـحـبة الرـجـراـجـيـيـن مشـهـورة جـدا، وإـن اـخـتـلـف فـيـها كـثـيـرا، وبيـحـثـها العـديـد من الكـتـاب والمؤرخين، وألفت فيها عدة مؤلفات ، وأسـال فـيـها المتناظرون مدادا كثيرا، وكانت وراء كل واحد نوازع و مشارب، وحجج وقضايا إلا أنه يلاحظ على البعض أنه يتسرع في التدليل والأحكام، وليس عيبا أن يبحث الإنسان ويقرر ويحكم، ولكن العيب أن يرفض الأمر جملة وتفصيلا، بل يعمد إلى نقل ترهات لا يعفيها من الوصف أن كتبها فقهاء كما نقل ذلك الأستاذ الفقيه المختار السوسي في المعسول الذي جعل القضية (حكاية خرافية موضوعة<sup>٥</sup>)، والحقيقة أنها خرافية حسب ما رواه شكلا وموضوعا ومعلومات وتاريخا، إلا أن الأستاذ السوسي ما يعتزم أن يكتب (أقول: عهدي بصاحبنا القانوني قد جمع مؤلفا في رجـراـجـة فإليه يرجع الأمر، لأن من درس الموضوع، لا يمكن أن يساويه أمثـالـنا الذين اطلوا عليه بغتة، ولذلك نسحب ذلك الحكم الذي أصدرناه حتى يقول المطلعون كلمتهم، ونحن وإن كنا لا نكاد نشك في أن هذا هو الرأي السديد لكننا نؤثر أن يكون العارف بالموضوع المتشبع بما قيل، هو المصدر للحكم لا من لا يتصدر له<sup>٦</sup>

والمؤلف الذي يشير إليه الأستاذ المختار هو (الياقوتة الوهاجة، في مفاخر رجـراـجـة لأبي عبد الله محمد بن أحمد العبدى القانوني الذي بحثها بحثا شافيا وخرج بـخـلاصة "إن الراجح هو القول بصحبـتـهم عملا بالشهرة الذائعة الشائعة بذلك التي نص عليها غير واحد من الأئمة المعبرين،

و أن الواجب هو العمل بمقتضى ذلك والوقوف عنده<sup>٧</sup>

وممن بحث فيهم كذلك بحثا جيدا الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه رباط شاكر الذي لا نتوفر عليه، ولم نعثر عليه لحد الآن، ولكن نتوفر على ملخص له في مقالة كتبها في مجلة المفرب ونقلها العلامة السعيدى في كتابه: السيف<sup>٨</sup>، وكذلك القاضي العلامة السيد محمد بن عبد العزيز بن حاتم الأندلسي الأسفي الذي له فيهم قصيدة تربو على الخمسين بيتا وأما أسماء هؤلاء السادة الصحابة فهم:

1 - مقدمهم ورنيسهم سيدي واسمين بن يعزى بن مهدي بن إسماعيل بن مروان بن علقمة، بجبل الحديد.

2 - سيدي أبو بكر أشماس وهو أكبرهم وصاحب مشورتهم بن عكرمة بن غيبين بن أبي خابية ابن أمج باقرمود.

3 - ولده سيدي صالح بن أبي بكر وهو معه في روضة واحدة.



- 4- سيدي عبد الله أدناس بن عامر بن دأنم بن مجاهد بن أردن ببلاد التوابت.  
 5- سيدي عيسى بو خابية بن كويهل بن حارث بن زياد بن أرتن، و كان يصيغ ثياب المجاهدين و يحرضهم على قتال المشركين، برتنانة عند شاطئ تانسيفت.  
 6- سيدي سعيد المكنى السابق بن كويهل من ذرية أرتن و هو أخو سيدي عيسى بوخابية بطالعة الشياظمة/تمازت.

7- سيدي يعلى بن واطل بن مصلين مدفون مع ولده شاكر بن يعلى ب: أحمر ولقد تحدث عنهم أكثر من واحد نثرا ونظما ، وقد اخترنا نظم الفقيه عبد الله السعيد الرجراجي، لأنه جمع في نظمه عدیدا من اللذين تحدثوا عنهم يقول:

رجراجة: عيسى و عبد الله	صالح و الشماس أهل الله
سلطانهم واسمين ذو المزايا	يعلى سعيد أربلب الزوايا
لا شك في صحبة هؤلاء	افخر بهم وصل بلامراء
ذكر ذا الكتاني في الازهار	وسلوة الانفاس لاتمار
وهو الذي يعرف بابن جعفر	عليه وابل الرضا كالمطر
وصاحب الروضة و النشر معا	سلسلة الذهب فافهم واسمعا
رباط شاكر لعبد الحي	رحلة احمد السكير جي
عبد الكبير الشاوي في عيونه	مؤرخ الحمراء في كماله
محمد الكانوني في الوهاجه	كويتب الحروف في الفتوحه
لفقه عبد الله الرجراجي	ساكن عبدة لدى المناجي <sup>9</sup>
لكنه سبحانه تفضلا	بالعود للوطن جل وعلا <sup>10</sup>

و لا اريد ان ادخل في نقاش مطول كما اسلفت حول صحبتهم و اهليتهم للوصول إلى مكة انطلاقا من ان المسافة كانت حائلا بينهم و بين الوصول إلى تلك الربوع، فهذه النظرية أصبحت متجاوزة، و الدراسات و البحوث أثبتت ان الإنسان المغربي منحدر من الشرقيين الذين كانوا بالمغرب منذ خمسين الف سنة ( 50.000 ) ق.م، بل إن دراسة أجريت على خمسين جمجمة من اليمن أفادت انها تشبه بشكل يلفت الانتباه جماجم إفريقيا الشمالية، فكيف تغلب هؤلاء على البعد والمشقة وننكر ذلك على رجراجة؟ وهل كان رجراجة بدعا في هذا المجال وبيضة لديك والجوش والقاتحون والتجار والجموع على اختلاف انماطها واهدافها تروح وتغدو؟ وقد ثبت ايضا ان: الخزفيلات اليونانية العائدة إلى القرن السابع قبل الميلاد وكذا النقوش المكتوبة باللغة الفينيقية على شقفات الخزف، تعد شاهدا ثابتا على وجود مستودع تجاري بالصويرة التي كانت مرفا يتوقف فيه الفينيقيون أيضا لإصلاح وترميم سفنهم و للتزود بما يحتاجون إليه من سلع ومؤن<sup>7</sup> فمع من كان يتجر الفينيقيون؟

ومن هم سكان هذه النواحي؟ أليسوا ركراكة و حاحا؟

الا يمكن ان تثمر هذه العلاقات علاقت أخرى تمكن بها الرجراجيون من الوصول إلى المشرق فجاءوا بعد ذلك بأصول مسيحية إلى بلادهم ليتوج كل ذلك وبعد ذلك



بالرحلة إلى مكة حيث أسلموا ورد عليهم الرسول عليه الصلاة والسلام بلغتهم ورجعوا إلى بلادهم ينشرون الإسلام و يؤسسون مواسمهم السنوية التي كانت غايتها بالدرجة الاولى دينية محضة للزيارة وتفقد الإخوان وزرع مبادئ الفضل و الإخاء .

## محاوـلات للتشكيـك

وكما مر فإن بعض المؤرخين حاولوا ويحاولون إلقاء الضبابية والشكوك حول رجـراجـة وصحبـتهم منطلقين من :

أ- أن المؤرخين لم يكتبوا عن هذه المرحلة

فمن هم المؤرخون الذين يريدونهم أن يكتبوا؟ هل البرابرة الذين دخلوا الإسلام على يد رجـراجـة؟ ومن

أين لهم بهذا وبربريتهم تمنعهم إن سلمنا أنهم متعلمون؟

هل العرب الفاتحون؟ وهؤلاء مهمتهم الفتح والغزو والجهاد وليس التاريخ إن كان فيهم من يهتم به؟ هل تاريخ المغرب معروف منذ وفود رجـراجـة على الرسول الكريم إلى مجيء المولى إدريس رضي الله عنه معرفة نطمئن إليها وإلى أحكامها؟ بل هل تاريخ المغرب معروف حق معرفته حتى الآن؟.

إن الثورات المتتالية والفتن المتعددة منعت بلادنا من العنصر الاساسي للكتابة والتدوين والتثقيف وهو الاستقرار، فإن النتنف التي نعرفها عن هذه المرحلة إنما أغلبها من سبيل واحد وهو سبيل المتغلب أو الوالي أو الثائر، وكلهم أصحاب سيف ورهبة وقوة وجيش.

ب- إن قضية الصحبة لم تثر إلا في القرن الثامن الهجري وبعده، أثارها شهاب الدين الخفاجي في كتابه (نسيم الرياض، في شرح شفاء عياض وابن شريف التلمساني وابن مخلوف وغيرهم.

وهذا واقع فالذين تعرضوا لها أولا ، فعلوا ذلك وهم يتحدثون عن بلاغة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اما الذين تعرضوا لها ثانية أبرزهم علماء مراكش وآخرون فليدافعوا عن حقيقة تاريخية اقتنعوا بوجاهتها وتثبت عندهم صحتها بعد تمحيص وبحث، ولم يربطوها كما حاول آخرون بظهور الزوايا والرباطات في القرن السادس و السابع وما تلاهما.

حقيقة إن هذه القرون كانت قرون جهاد ومصالوة للدخيل وتصوف ، وإذا كان لرجـراجـة حظهم في ذلك فهو ليس من باب إثبات الذات والصحبة بدليل أن الذين أثاروا الصحبة لم يكونوا فقهاء وعلماء و متصوفين رجـراجيين، لأنها عندهم من الأمور التي لا تحتاج إلى نقاش بله التشكك والتشكيك، بل الاغرب اننا لا نجد علماء في مكانة عبد الله بن أبي جماعة السكياتي وحفيده عبد الله بن إسماعيل ومحمد الشريف ومحمد بن عمر وأحمد بن محمد الأبيهي والقاضي الحاج علي بن عبد الصادق السعيدى الصويري وأحمد ابن عبد المالك السعيدى البنحميدي وغيرهم كتبوا في هذا الموضوع أو توسعوا فيه اعتمادا على: " أني اعتذر عنهم بأن أمر رجـراجـة أمر مفروغ منه و يعلمه



## أهل الظاهر والباطن<sup>12</sup>

ج- أنهم لم يكونوا ذوي ذكر و طموح في مجال السياسة و الصراع حول الحكم والذي يتتبع فلسفة الرجراجيين منذ بدأوا في دعوة الناس إلى دين الله بالحسنى ثم بالسيف لن يفاجأ أبدا إذا وجدهم بعيدين عن الصراع المولد للفتن و الاقتتال اللهم إلا إذا فرض عليهم، و غالبا ما كانوا هم المعتدى عليهم.

و هذا سر بقائهم و محافظتهم على أصالتهم و مواسمهم التي لا تعرف لها مثيلا في العالم الإسلامي رغم انقطاعها لمدد ما تمشيا مع السياسة العامة للدولة او لظروف أخرى قاهرة. كما جرى على العهد الموحيدي او السعدي او العلوي.

وفلسفتهم هذه لا تنفي أنه كان فيهم وزراء وقضاة وأطباء وعلماء وحيسوبيون قريبون من أصحاب القرار و الذين لهم كلمتهم و رأيهم ووزنهم كما سنشير لذلك لاحقا وحتى بعض الثوار ولو محليا.

نخلص من كل هذا إلى أن صحبة الرجراجيين تندرج تحت ثلاث نظريات:  
- النظرية الأولى الجازمة بصحبتهم ووصولهم إلى رسول الله (ص) وقد اعتمد أصحابها على نقولات وأقوال وحجج واجتهادات لعلماء ومؤرخين ومتصوفين و أهل المعرفة.

- النظرية الثانية الراضية لثبوت الصحبة و قد انطلقت بدورها مما رأت أنه يؤكد نظريتها و يثبت حجيتها خاصة وأن كتب الحديث لم تشر إلى شيء من ذلك.  
ولعل من قال في هذه النظرية قولا بعيدا جدا عن البحث العلمي وإن كان قد استدرك بعد-الاستاذ الفقيه المختار السوسي ، وقد نقل رأيه عن أستاذه الشيخ شعيب الدكالي: واستحضر أننا مرة في الدرس في مجلس شيخنا أبي شعيب الدكالي الصديقي رحمه الله جرى ذكر صحابيتهم، فرده شيخنا، فقليل له: إن الخفاجي في شرحه على الشفا يقول ذلك، وساق في معرض أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بلغات شتى تلك المكالمة المتقدمة بينه وبين الرجراجيين، فتبسم شيخنا فقال: إنما الخفاجي نقال، وهذا لا ننكر أنه مذكور، لكننا نقول إنه باطل مكذوب، ثم قال: لو كان الخفاجي الأديب المطلع أتم اطلاع على الآداب وما إليها من العربية، مقتصرًا على التغزل والتشبيب بالقُدود والخذود والجولان بين الغصون والورود، لكان ذلك به أولى، والا فإن الحديث لا يكفي فيه النقل حتى يكون ذوقه متربيا في الإنسان<sup>13</sup>

ورغم أن الشيخ الدكالي طعن في ثقافة الفقيه الخفاجي وهو ليس فضلة ولا نكرة في الثقافة الإسلامية وتلك مغالاة لا شك فيها، فإنه هو نفسه وقد دعي بحافظ المغرب كان الشيخ عبد الحي الكتاني يقول عنه في دروسه (إنه حافظ ولكنه محجوب العقل والفهم) فهل نصدق الكتاني في الدكالي؟ أم نصدق الدكالي في الخفاجي؟ وأخرى وحسب رواية شفوية عن مؤلف السيف المسلول أن الشيخ شعيبا حط الرحال مدة بمدرسة زاوية بن حميدة الرجراجية، فتنطع ذات مرة وتفوه بما أحقن مقدم رجراجة ساعتها فعزم على ضربه بالسياط ففر، وربما بقي في نفسه شيء على الرجراجيين وعلى تلك الزاوية التي استضافت كذلك الشيخ علي الدرقاوي والد الفقيه المختار



السوسي وكان مسمعا بها لمدة ما في الصلوات الخمس والجمعة.  
- النظرية الثالثة هي التي وقفت وسطا فلم تهمل الصحبة اعتمادا على ما يدعمها عندها، ولم ترفضها لأن الحجج التي بين أيديها- وقد تكون من بينها السياسية- لا تسعفها. فرأت أن الأمر محتاج إلى زيادة بحث و بذل مجهود وإعمال نظر فقد تظهر الايام ما يجلو الشك و ينير العتمة.

وهذا رأينا فرغم أننا لا نشك في أمر الصحبة، فإننا نتوق لمزيد من البحث والتقصي والعمل الجاد المنير لمعالم الطريق، فالقضايا لا تكتسب شرعيتها بما هو موجود فقط وبما يتداوله الناس، ولا بما يطمئن إليه الرجراجيون ولا يطمئن إليه غيرهم، فرجاجة يشرفهم أن يكون جدودهم صحابة لرسول الله (ص) و يشرف أبناءهم و أحفادهم أن ينعتوا بأبناء و أحفاد الصحابة، و لكن يشرفهم كذلك أن الذين تنكروا لصحبتهم أو سيتنكرون لا يوافقهم التاريخ ولا يصفق لهم البحث.

اضف إلى هذا فلا توجد قضية تعلو على البحث و التقصي فأحرى أن تناقش بعصبية فأحرى أن تكون متمردة كما يحلو لبعض الباحثين أن يصف قضية الصحبة الرجراجية.

ورجاجة قبل هذا و بعده-مسلمون موحدون، يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..)

## 2- وزواياهم

وقد يجيء سؤال أو عدة أسئلة مترابطة:

لماذا زوايا وليست زاوية واحدة؟

ولماذا تعددت؟

ولماذا اتخذت أسماء مختلفة هنا وهناك؟

واقعيا أن البحث في هذه الزوايا ليس يسيرا أمره ولا هينة قضايا لمعوقات وأسباب منها على سبيل المثال:

1- أنها ليست وليدة قرنين أو ثلاثة فيسهل التعامل معها ويستقيم الحديث عنها في فقرة محدودة المساحة والوقت والهدف وإنما هي ولدت بميلاد الإسلام.

2- أنها ليست زاوية واحدة بل عشرات متفرقات في المغرب وعند هذه ما ليس عند تلك، وإن كانت أغلبيتها موجودة في الإقليم الصويري، وحتى هذه منها ما هو أساسي ومنها ما هو فرعي (الكبيرة والصغيرة) حسب تعبيرهم.

3- المصادر المعتمدة في هذا المجال لا تسعف الباحث بالكثير وإن كان السيف المسلول، والياقوتة الوهاجة قد سدا ثلثة كبيرة في هذا المضمار.

4- إن الوثائق والمستندات التي لأربابها كثيرا ما يضمنون بها ولا يجد الباحث تعاملًا تلقائيا معهم ولا مع الوثيقة، وهي عديدة ومتنوعة، وقد يكون فيها ما تعرض له الرجراجيون من تعسفات على يد مختلف الأسر المتعاقبة على حكم المغرب والتي تعاملت معهم من منطق الحذر والريبة.

إننا وبدون أن نتعرض لدور تأسيسها وما قامت به لاننا تحدثنا عنه في مكان آخر

من هذا الكتاب.

نقول إن الزوايا الرجراجية قدمت لهذا الوطن الكثير إن على مستوى الجهاد والمثاغرة والتصوف وإن على مستوى العلم والدين والفكر وإن على مستوى الحياة بعلامة لأنها منتشرة في المغرب كله وكلها أنت دورها حينما لا يكون من تاديتة بد. وهذه الزوايا تقع في بلاد قال في حقها صاحب كتاب الانساب: "من اراد الدنيا والاخرة فعليه ببلاد رجراجة"<sup>1</sup>

## هوامش الفصل الثاني

- 5 - المعسول ج 4. مرجع سابق.
- 6 - المعسول ج 4. مرجع سابق.
- 7 - اليقوتة الوهاجة / مخطوط، بدأ في طباعته لكن المنية عاجلته.
- 8 - ص 30/14 ط 1 / -1407/1987 البيضاء.
- 9 - منفاه بعبدية في سبيل القضية الوطنية.
- 10 - رجع للزلية من منفاه سنة 1957.
- 11 - مذكرات من التراث المغربي ج 1 ص : 129/94
- 12 - السيف المسلول / مرجع سابق.
- 13 - المعسول ج 4 ص : 11، ولول من صرح بصحبته كما قال الاستاذ الفقيه الشيخ محمد بن احمد العبدى الكانوني في نسخة ثانية مخطوطة من كتبه (اليقوتة الوهاجة في مفاخر جراجة) مؤرخة ب 25 رجب 1357 هو: الشيخ ابو يزيد عبدالرحمن بن عفلان الجزولي ثم الفلسي المتوفي سنة 741 هـ عن مائة ونيف وعشرين سنة ، ذكره في احد شروحه الثلاثة على الرسالة.
- 14 - التيار الصوفي و المجتمع ص 68 عن الحركة الصوفية بمراكش حسن جلاب ج 1 ص : 42 ط 1 - مراكش 1994



## الفصل الثالث

### الدور الجهادي و الصوفي لرجراجة

ربما لا نجد فروقا جوهرية كبرى بين المجاهد الصوفي الذي انطلق من صوفيته ليكون مجاهدا أو العكس خاصة رجال رجراجة الذين انطلقوا من أول يوم للجهاد في سبيل الله تدفعهم عقيدة قوية وإيمان عميق بوجوب كسب إحدى الحسنين الشهادة أو النصر.

وكل الكتب التي تحدثت عنهم أو تحدثت عن الجهاد و التصوف بعامة تعرضت لهم و أثنت على مواقفهم و جعلتهم في مقدمة من حاربوا برغواطة ونحلا أخرى ثم المد الكاسح للاستعمار الصليبي الغربي بعد ذلك في المراسي والسفوح و الجبال من الحدود إلى الحدود وحاربوا كل من اعتقدوا فيه التنكب عن الطريق السوي.

يقول الأستاذ المختار السوسي : " ونحن نعرف ما مضى لهم من مجد في جهاد برغواطة أيام ازدهار مدينة (نفيس) و(رباط شاكرو) فقد مثلوا اعظم دور حتى أيدهم الله بالمتونيين فوحدوا الكلمة وأفرغوا المغرب كله مع غيره في قلب واحد، فكانت وحدة اندمج فيها الرجراجيون وغيرهم"<sup>15</sup>

ويقول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله: " لاحظ دوكاستري (السلسلة الأولى السعديون-البرتغال ج /ص: 120) أن فشل البرتغال في الصويرة عام 915 (1510هـ) في الوقت الذي استطاعوا بسط نفوذهم في آسفي واكادير يرجع للفوضى التي كان يعيش فيها الناس حول هاتين المدينتين بينما اصطدم البرتغاليون حول الصويرة بمقاومة أنكت روحها عناصر من ركراكة المصامدة الذين وصفهم الحسن الوزان بالاستقامة والتقوى"<sup>16</sup>

### ابن خزر و رجراجة و الأدارسة

لم تحفظ لنا الأيام إلا القليل والاستنتاجات ومقارنت-لحد الآن- عن أخبار تحركاتهم وأيام جهادهم وسنوات نضالهم إلا ما كان من نتف حول قيادة السادة السبعة وأدوارهم في الجهاد، وهذا يدخل فيما أشرنا إليه سابقا إلا أن الظاهر أنهم لم يشتركوا في تلك المآسي التي كان المغرب مسرحا لها على عهد الإباضيين الذين حاولوا انتهاز الفرصة فأحدثوا ما هو معروف، ولم يتلوثوا بنحلتهم الفاسدة وفضائحهم النجسة.

ولا بد للمرء أن يتساءل في القرن الثالث:

لماذا تسلط ابن خزر المغراوي على رجراجة فقتل منهم العديد وشتت شملهم وفرق جموعهم وأخرجهم من بلادهم فقصدوا هذه الناحية أو تلك في الوقت الذي فعل فيه ذلك بالأدارسة؟ هل كانت لهم يد مع هؤلاء الشرفاء؟ هل كانوا يناصرونهم لأنهم

من أهل البيت ؟ هل لانهم سائرون مع الكتاب والسنة ليس إلا؟ .. لا نملك إجابات مقنعة ولكننا نعرف أن المولى إدريس الأول غزا مدينة نفيس<sup>17</sup> وهي قريبة من بلادهم و يوجد بها رباط شاکر وهو أشهر من نار الخنساء على علمها ، وبه رجراجيون و رجراجيات، وأن محمدا ابن إدريس الثاني لما وزع المغرب على اخوته كانت نفيس من نصيب ولده عبد الله، وأن صاحب نفيس بعد ذلك كان حمزة بن جعفر من بني عبد الله بن إدريس ويصرح البكري بأن مدينة نفيس دالت بذهلب الادارسة.

فهل جاء الترابط من هنا؟ وليست نفيس بالبعيدة من ركراكة على كل حال إضافة إلى أن عمرانها وشهرتها قد اتصلت دأنا برباطها الرجراجي الشاکري العتيد إضافة إلى رباطها الاصلی كما هو معروف .

ولم تكن مدينة والسلام، وإنما يصفها البكري بقوله: "وهي تعرف بالبلد النفيس كثيرة الانهار والثمار، ليس في ذلك القطر أطيب منه ولا أجل منظرا، وهي قديمة اولية غزاها عقبة بن نافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاصر بها الروم ونصارى البربر، وكانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها فلزمهم حتى فتحها، وبني بها مسجدا إلى اليوم واصابوا غنائم كثيرة وذلك عام 62هـ ، وهي اليوم اهلة عامرة بها جامع وحمام وأسواق جامعة، بينها وبين البحر مسيرة يوم، يسكنها قبائل من البربر اكثرهم مسمودة، وكان صاحبها حمزة بن جعفر الذي ينسب إليه السوق"<sup>18</sup>

ويبدو مما سبق انه كانت لهم يد في شؤون الدولة ولو عن الطريق الجهادي، وعن طريق نفيس الشيء الذي رشحهم للمصير المذكور.

ولا يبدو أن المولى إدريس أعطى لحرب برغواطة- وقد كانت قناتهم قوية، ولم يلقوا السلاح إلا ليستأنفوا مرات- ما أعطى لحرب تلمسان، ونرى أن الامر ربما تعلق بأحد الافتراضات.

1- أن برغواطة كانت من القوة إلى الحد الذي تجنب معه الادارسة قتالها، وهذا مالا نراه، فالرحلة من ويلي إلى تلمسان لم تكن رحلة للاستجمام وشم الزهور، والمجاهد هو مجاهد للعدو وإن قويت الشكيمة واشتد البأس.

2- أن برغواطة ساعتها كانت في جزر لها بحيث لم تعد تكون خطرا على الدولة الناشئة وهذا ما لا نراه كذلك فإن" يونس بن إلياس بن صالح البرغواطي أخلى ثلاثمائة وسبعا وثمانين مدينة بالمغرب منها مدينة تيمغس أقام القتل في أهلها ثمانية أيام"<sup>19</sup>

3- أن رجراجة ومن كان يدين بالإسلام من الافراد والقبائل الاخرى كانت قائمة بالواجب وهذا هو المرجح، لاننا نعلم أن يعلى وهو أحد الرجال السبعة وكان آخرهم موتا -كان مشاركا في أخريات حياته في حرب برغواطة ومعه طبله الذي كان يضرب به قبل بداية المعركة أو اثنائها للتنبيه والتشجيع، وقد بقي هذا الطبل معلقا برباط ولده شاکر بن يعلا إلى القرن السادس وشاکر كما هو معلوم من تقدم الصفوف حتى استشهد.

ولم تكن هذه الحرب بالسهلة ولا القصيرة، فزيادة على المسافة الفاصلة بين بلاد رجراجة وتامسنا فإنها دامت عقودا كثيرة بين إيمان صحيح وكفر جاحد ، وعفة وطهارة وظلم وتطاؤل وحرية وانعتاق وتنكيل وإرهاق<sup>20</sup>



وقريب من نفيس ووسط بلاد ركراكة كان رباط آخر مشهور أقدم من الاول بقرية عظيمة هو رباط (اكوز<sup>21</sup>) وهي بلاد حويرة على طرف وادي تانسيفت على شاطئ البحر حيث الرباطات والمساجد متعددة

ولعل فيما أتى به البكري فيما يخص المسافة بين عدد الرباطات ما يشي بالكثير: "والطريق من أغمات إلى رباط كوز من اوريكة إلى نفيس خمسة وثلاثون ميلا، ومن نفيس إلى شوشاوة ثلاثون ميلا، ومنها إلى مرامر ثلاثون ميلا، ومنها إلى رباط كوز خمسة وعشرون ميلا، وذلك عشرون ومائة ميل"<sup>22</sup> ولا يخفى أن اكوز كانت هي الرنة التي تتنفس منها وبها مدينة أغمات، لأنها كانت مدينة أهلة جميلة وكانت مقر للعامل وبها يجبي الخراج<sup>23</sup>

وليس رباط شاكور ورباط اكوز هما الوحيدين الممكن التحدث عنهما، فإن هناك رباطات كثيرة سميت فيما بعد زوايا لكل منها قصة وتاريخ ومجاهدون وصوفيون وأئمة أعلام في هذا المجال.

وباستقراء بسيط يعثر الإنسان على العجب العجيب.

## رجـاجة و المرابطون في صف واحد.

لقد التقى الرجـاجيون والمرابطون في الجهاد ولكنهم اختلفوا في السياسة، فإن كثيرا من الإشارات تدل على أن الجو بينهم لم يكن صافيا دائما شأنهم مع الدول الأخرى، رغم أن رجـاجة كانوا في صفهم ومن المدافعين عنهم<sup>24</sup> ومن الذين مدوا لهم اليد أول ظهورهم كما في القرطاس<sup>25</sup> إن السقطة التي سقط فيها المغرب بتنافس قوتين عظيمتين على حدوده هما العبيديون بتونس والأمويون بالاندلس في القرن الثالث وبداية الرابع وما أحدثاه من ارتباك وخلخلة وخلافات بين المؤيدين لهؤلاء أو لاولئك كان لها تأثيرها الاجتماعي والسياسي والديني، فكلما تغلبت قوة فعلت ما يفعله الغالب مما كان له الأثر السلبي على النفسية المغربية وأصحابها الذين امتشقوا السلاح للذود عن الشريعة والإرث الإسلامي ريثما جاء المرابطون ليظهروا على المسرح كقوة بديلة معتمدة على الكتاب والسنة والنقاوة الدينية التي اعطت سلطة أعاشت الإسلام بالاندلس أربعة قرون أخرى هذه السلطة التي جعلت صاحب كتاب (السلالات الإفريقية) دنيز بولم يقول: وفي هذه السلطة الدينية يكمن كل مبدأ للوحدة السياسية تقريبا، فالارتباط الديني في إفريقيا الشمالية يحتل مكان الشرعية، ويخلق السلالات للحكم أو يبطل حكم الحاكمة فلا تستطيع أية مؤسسة أخرى ضمان استمرارها"<sup>26</sup>

وكما كان المرابطون دولة علم و علماء كانوا دولة جهاد و هذا معروف و لكن المستقرئ لحركاتها الجهادية يجدها منصرفة في الغالب الاغلب إلى الاندلس والمغرب الأوسط و قبائل اغمارة، و كانت جيوشها تضم العدد الوافر من الجنود و المتطوعين الرجـاجيين، بل إن الرباطات الرجـاجية المنبثة في البلاد خاصة في الجنوب كان لها الدور الحاسم في تكوين الدولة المرابطية و تقويتها و إلا فهل يعقل أن يتم الامر للمرابطين بالسرعة المعروفة لمجرد رسالة من أبي عمران الفاسي إلى وكاك بن زلو اللمطي ليرسل الأخير أحد طلبته هو عبد الله بن ياسين لتستقيم الامور وتجيئ

الجيوش و تفتح البلدان بعد انكفاء بإحدى الرباطات حتى توافد الناس جماعات ووحداً بغية التطهر والامتثال لأمر الله والجهاد ضمن المجاهدين؟ الواقع المشاهد والمعاش يقول لابد من أرضية ممهدة وتغطية سابقة كانت وراء كل ذلك وساعدت على اقضاء المد البرغواطي الذي تجبر؛ وكان سبباً في القضاء على قوة الرجراجيين الذين استشهد منهم الكثير ابرزهم رؤسائهم وزعمائهم.

## و في القرون الأخرى:

و القرون الأربعة من الخامس إلى الثامن، وتوالت فيها أسر حكمت المغرب من المرابطين إلى المرينيين، كانت بطبيعتها قرون تصوف إلى حد كبير، لأن الأحوال السائدة كانت تدعو إليه، إلا أنه كان تصوفاً يقرن الجهد بالجهاد، والاعتكاف بالعمل، والعلم بالسلوك، والتضحية بالإيثار، والذكر بالحركة، ولقد تنبه لهذا القاضي التادلي مؤلف كتاب التشوف إلى رجال التصوف، وكان قاضياً ببلاد رجرجة وبها توفي سنة 627 أو 628 هـ فقال: "وسميت هذا الكتاب بالتشوف إلى رجال التصوف، وإن كان مشتملاً على أضراب من أفاضل العلماء والفقهاء والعباد والزهاد والورعين وغير ذلك من ضروب أهل الفضل، فإن اسم الصوفي يصدق على جميعهم بوضع هذا الاسم عند المحققين، فإن كثيراً من الناس لم يحصلوا حقيقة اشتقاقه، والذي يعول عليه أن الصوفي هو المنقطع بهمة إلى الله تعالى المتصوف في طاعته"<sup>27</sup>:

ومن هذا المنطلق فإن رباطات رجرجة وزواياها كلها موند للصوفية العاملين والعلماء المجدين، وقد سبقت الإشارة إلى رباط أكوز، ولنا أن نتصور العدد الضخم الذي زاره من الأولياء الصالحاء والمجاهدين طوال ستة قرون وأكثر، ورباط شاكرو كان موعداً لاجتماع الصالحاء والعباد في السبع والعشرين من كل سنة في شهر رمضان يؤمونه من جميع الأطراف والمناحي حضرته في إحدى السنوات الزاهدة أمانة الدكالية المتوفاة بمراكش عام خمسة وتسعين وخمسمائة (595) فقالت: (حضر هذا العام بهذا الرباط ألف امرأة من الأولياء)<sup>28</sup>، فكم كان عدد الرجال؟

وقد سبقت الإشارة إلى كتاب الشيخ عبد الحي الكتاني (رباط شاكرو) وقال عنه سنة 1341 هـ لما زاره: (وبالجملة فالذي يرد اليوم على مشهد هذا الرباط على طرف واد نفيس يرى مشهداً مؤثراً وبسيطاً ممتداً، ومجاري ومناظر وتراباً ونباتاً وروابي أشبه شيء ببسيط ومناظر وتراب القيروان الذي به مسجد عقبة إلى اليوم)<sup>29</sup>، وجددها الرباط الملك العالم سيدي محمد بن عبد الله في رحلته الربيعية سنة 1178 هـ/1764 م

وقد زرت هذا الضريح سنة 1983 م/1403 هـ وتألّمت فعلاً لما عليه حالة الضريح والمسجد خصوصاً وهو جماعة قروية وبه سوق كبير، ولقد لفتت نظر السيد عامل إقليم أسفي إليه وقيل لي إن إصلاحات مهمة بوشرت فيه وفعلاً كان ذلك<sup>30</sup> وإن عبق التاريخ العطر لينبعث من بين ثنايا كل ذرة فيه، وإن نور الله يتخلل كل تلك الأرجاء التي قصدها شيوخ عظام ومتصوفون كرام كالشيخ أبي محمد صالح وابن الزيات التادلي وغيرهم



الذين يحق فيهم قول الفيلسوف أبي بكر بن طفيل :

ما كل من شم نال رائحة	للناس في ذا تبين عجب
قوم لهم فكرة تجول بهم	بين المعاني اولئك النجب
و فرقة في القشور قد وقفوا	وليس يدرون لب ما طلبوا
لا غاية تنجلي لنا ظرهم	منه ولا ينقضي لهم أرب
لا يتعدى امرؤ جبلته	قد قسمت في الطبيعة الرتب <sup>31</sup>

ومما امتاز به التصوف المغربي ان معظم رجاله ودعاته من اهل العلم بأصول الدين وفروعه ولنلك فهم يعرفون كيف يكيفون آراءهم وقلما تجدهم مصطلمين مع العلماء كما وقع في المشرق العربي، وما وقع من اضطهاد بعض الصوفية إنما كان لأسباب سياسية محض، والتصوف المغربي إلى جانب الفقه المالكي له الأثر الفعال في توجيه كل الأفكار و السياسات التي جرت في بلادنا، فالفقه و التصوف عنصران أساسيان في تكوين المجتمع المغربي وتسييره<sup>32</sup>

وهذا حق وصدق فإبراهيم بن إسماعيل بن وجماتي الرجراجي، ومحمد بن يوسف الرجراجي المصري وعبد الرحمان بن محمد الرجراجي الأندلسي وأبو عبد الله محمد بن ياسين ويحيى المليجي الرجراجيان وعبد السلام بن مشيش وأبو محمد صالح وعبد القادر بن أبي جيدة الفلسفي اليسوا كلهم علماء ومتصوفين؟.

### نماذج رجراجية متصوفة في هذا العهد:

ومن متصوفة رجراجة ومجاهديهم وعلمائهم في هذه الفترة نذكر: أبا إبراهيم إسماعيل ابن وجماتي المتوفى سنة 595هـ وهو من هو، وإبراهيم الرجراجي السوسي، وأبا عبد الله من أهل تلمغت وأبا محمد خميس بن أبي رزق (رزج)، وله ترجمة في التشوف والسيف المسلول تليق بأمثاله توفي سنة 617هـ .

ومحمد بن ياسين الرجراجي المراكشي دفين المواسين بمراكش سنة 571هـ ومحمد بن يوسف الرجراجي المصري، وقد ترجم له ابن حجر في (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) وقال إنه كان من المقربين للملك قطز، وتولى التدريس بالانظامية، وعبد الله المليجي الرجراجي وعبد الرحمان بن محمد الرجراجي الأندلسي قاضي استيجة، كان شيخا متحققا شديدا في أحكامه، وجرى بينه وبين ابن رشد ما جرى كما يقول ابن الأبار في الذيل والتكملة، وعبد الرحمان بن إلياس الرجراجي دفين شيشاوة، وعيسى بن محمد بن العاطي حفيد سيدي عبد الله بن واسمين دفين أربعاء النعيرات ويعرف بمول العهد أو مول الودد وسعيد بن ميفوناس الرجراجي الأغيسي جد أبي عبد الله محمد بن ياسين ويحيى المليجي وكان من الأبدال، دفن برباط شاكرا حسب وصيته، ويلا سيف بن يعديون توفي قبل 617هـ، ومسعود بن عبد الرحمان السعيد الرجراجي، وموسى ابن الحاج الرجراجي الأسود وهذه نماذج فقط، ومن أراد الاستزادة فليرجع للمراجع التي اعتمدها، خاصة: السيف المسلول، والتشوف، والياقوتة الوهاجة.

## حينما ضعفت الدولة

بتولي الوطاسيين وهم وزراء المرينيين دب الوهن و التردّي رغم ما بذلوه مما اوصل الدولة إلى ضعف عام كانت نتيجته الانقسامات واستبداد الحجاب للاستيلاء على الحكم من خلال مبايعة ملوك اطفال أو رجال قليلي الخبرة والتجربة، فنشا عن ذلك :

1 - انقسام البلاد واضطرابها وسادت فيها الفتن و التطلعات اللامشروعة.

2 - القضاء على دولة الإسلام بالاندلس، إذ غادرها آخر ملك مسلم وهو عبد الله بن الأحمر سنة 1492/898، و من الغريب أن هذه السنة هي التي اكتشف فيها كريستوف كولومبس القارة الأمريكية.

3 - استيلاء الاسبان على مليلية والعرانش واصيلا سنة 818 والبرتغال في السنة نفسها على سبتة وانفا سنة 876هـ وطنجة في سنة 889 واسفي وازمور في 912، وبدأوا يوسعون نفوذهم على طول الساحل فعاتوا في بلاد رجراجة كما فعلوا في حاحا والسوس.

في هذا الظرف الحرج بل الحالك كان لا بد لرجراجة أن يتحركوا، وإن العدد العديد من القباب المتواجدة سواء على الساحل أو داخل البلاد لتشهد بذلك الجهد المضني الذي بذلوه في استرجاع المراسي وطرد المغيرين، والمحافظة على حماس المجاهدين وتعليم المواطنين والوقوف بجانب كل من يبغى إنقاذ الإسلام والمسلمين بالمغرب. ويجب أن لا ننسى شيئا كان له دوره ساعته هو سيدي محمد بن سليمان الجزولي الذي طوف بالبلاد ليستقر ببلاد رجراجة /الشاظمة بافوغال (قبيلة الدرّ).

بعد ما طرده صاحب أسفي وبقي بها إلى أن مات سنة 870/1465 وقد اجتمع عليه من المريدين اثنا عشر ألفا وستمئة وخمسة وستون 12665، وقد تتلمذ الشيخ الجزولي على الشيخ سعيد. الهرتاني الذي تتلمذ على الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن إلياس السالف الذكر الرجراجي دفين شيشاوة، فهو تلميذ لأبي زيد الرجراجي بواسطة، وقد قال بن عسكر في دوحته: " أن أبا زيد عبد الرحمان ابن إلياس هو المعروف عند العامة بأبي زيد والياس، وقبره بوادي شوشاوة، وقد انتهى أمره إلى القطبانية " وفي مرآة المحاسن والممتع أنه أقام بحرم الله عشرين سنة، وأخذ طريق التصوف عن أبي الفضل الهندي عن الشيخ عنوس عن أبي العباس القرافي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم ومن طريقه تروى الطريقة الشاذلية، فالشيخ الكبير سيدي محمد بن سليمان الجزولي يرويها عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله أمغار الصغير عن أبي عثمان سعيد الهرتاني عن المترجم.

وليتصور المتصور هذه الحلقة من المتصوفين أصولا وفروعا التي تبتدى من شاكر إلى أبي عبد الله أمغار، إلى أبي محمد صالح، إلى إسحاق بن إبراهيم الرجراجي، إلى علي بن أبي علي الرجراجي إلى عيسى مول العهد الرجراجي بأربعاء النعيرات إلى أبي خميس، إلى أغمت إلى نفيس عن طريق أبي زيد عبد الرحمان فرياط شاكر وما تضمه داخلها من كمل الرجال و اكابر القوم.



## ومجاهدون ءآخرون و متصوفون.

وقد ظهرت في هذه الظروف البنيسة شخصيات نادرة، وفحول وضعوا ارواحهم على أكفهم واستقبلوا المعارك درءا للمخاطر ،وتحرير الوطن، وفداء للدين، ونجد من بينهم: الشيخ محمد بن باعزي البطريطشي السعيدى الرجراجي وولده سيدي محمد فتحا بجمعة اسحيم وسيدي علي ابن أحمد بن حسين بن كرامة قرب أسفي، وسيدي علي بن أبي علي الذي تبتدى منه مواسم رجراجة ، وكانت له زاوية كبرى بأسفي أفسدها البرتغاليون كما كان شيخا مربيا وله اصحاب واتباع وزوايا أخرى، وعزيزة بنت إبراهيم السكسيوية الرجراجية وقد قال عنها ابن الخطيب القسطنطيني ما قال، وسيدي إسحاق دفين شاطئ البحر بالساحل الرجراجي ، وغيرهم كثير وكثير.<sup>33</sup>

## بطولاتنا دمرت المخطط المسيحي الغربي.

ملاحمنا وانتصاراتنا ضد المد الصليبي هي التي أرثت الحقد الاستعماري الغربي وجعلت دوله تتحين الفرصة إثر اختها حتى وقعت عليها في لجوء المتوكل إلى البرتغال فتداعت الجيوش الأوروبية بتوجيه مادي ومعنوي ووعد بغفران الذنوب من جانب البابا الصليبي من أسبانيا والبرتغال وإيطاليا وألمانيا وسواها لتهاجم المغرب بغية إلحاقه بالاندلس والنفاذ منه إلى العالم الإسلامي الشرقي وإفريقيا الإسلامية فكانت معركة وادي المخازن التي ترتب عنها سقوط البرتغال البادئة بالعدوان من دولة قوية إلى أخرى لا وزن لها ولا تقدير.

ومن الغريب أن لا يرى الغربيون في بطولاتنا إلا نوعا من الرعونة والهمجية، فقد جاء في كتاب (الحضارات الإفريقية): "ولكن المغرب زاغت عن صوابها عندما أبعدت الأسباب والبرتغاليين في أواخر القرن السادس عشر، فانغرس فيها الحقد الديني كما انغرس من قبل على سواحل الجزائر وتونس بين أهلها والأتراك، فانقطعت الصلة وأصبح البحر جحيما"<sup>34</sup> ولست أدري كيف يسمح الغربيون لأنفسهم خاصة هؤلاء المفروض فيهم أن يكونوا نزهاء، الكذب على الحقيقة و الادعاء الصارخ و التجني المفضوح، إما تعمدا وإما جهلا بحقائق الشعوب و نفسيت الناس بها، ففي كتب الحضارات الإفريقية كذلك ما يلي: ومع الفتح العربي احتل الإسلام بلاد البرابرة فأسلموا، ولكن نفوسهم لم تتحول عن بعض ما ألفته، فذكريات دينهم السابق استمرت تحيي طقوسهم التي نشأوا عليها، و لا سيما نار أطول نهار في السنة (DETE SOLSTICE) يشعلونها في أربعة وعشرين حزيران في الريف، وهي نار جرت العادة أن يقفروا من فوقها ، أو في ذكرى عاشوراء، التي كانت تدوم مدة الايام العشرة من الشهر الاول محرم، و هو عيد رأس السنة الجديدة، عيد الاولاد، و عيد الموتى أيضا، والسحر ورقية الحب هما حيان حتى اليوم، و أينما سرت في هذه البلاد تجد الاعتقاد بفعل العين الشريرة (الإصابة بالعين) يحملونها تعويذة بشكل خمس أصابع ممدودة<sup>35</sup>

## وفي العهد العلوي:

يقول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في حديثه عن التصوف في المغرب: "إن من أبرز مظاهر التصوف الحقيقي في المغرب إقرار التسامح والسلام في المجتمع ومد يد العون والمساعدة بالإمدادات لتخفيف وطأة البؤس والالم، فهناك مذهب صوفي مغربي يرجع الفضل في وضع أسسه ونشر دعوته لرجل من أهل القرن السادس الهجري هو أبو العباس السبتي وكان لدعوته الأثر الفعال في تأسيس الزوايا في مختلف أنحاء المغرب إذ كان يأوي العجزة والفقراء والطلبة فيجدون الطعام والفرش، وقد تنافس الصوفية في هذه المظاهر الاجتماعية والإنسانية"<sup>38</sup>

وقد يكون المرء صادقا إذا قال إن هذا النوع من التصوف هو الأكثر تطبيقا في العهد العلوي ووراء ذلك أسباب في نظرنا.

1- أن النموذج الشاذلي بأدعيته وأوراده وطقوسه لم يبق هو السائد وإن ظهر في أسماء أخرى

2- أن زوايا عديدة باطقمها وأورادها والمدافعين عنها باللسان والقلم ظهرت بشكل جلي وقوي كالناصرية والتيجانية التي اكتسحت الساحة اكتساحا غريبا ووصل إشعاعها ومبادئها إلى أفريقيا فغزت الكثير من أقطارها، وكالغيساوية والحراقية والفلسية وغيرها.

3- أن التصوف المقترن بالجهاد لم يعد له من مكان خاصة بعدما قعد المولى إسماعيل قواعد الزوايا وتابعيها وأحدث جيشا نظاميا جبارا أغنى عن كثير مما كان تتبعه الجيوش وفيها العديد من الرؤوس المسؤولة والكثير من المتطوعين.

4- أن الحروب لتحرير المدن أصبحت خاضعة لتقنيات أقل ما يلاحظ عليها أنها بدأت تهتم بالرأي العام الخارجي ولو في حدود.

ولم تكن الناحية الرجرجية بدعا في هذا المجال، فإن زواياها تثلث بدعوة هذا الشيخ أو ذاك، وقد تجد الزاوية الواحدة وبها طائفتان كل واحدة تابعة لشيخ، فاقصر الأمر كله على الذكر ودراسة القرآن والعلم وإطعام الطعام والتعامل بالحسنى وإكرام الضيف والوقوف في وجه الظالم، والأمر بالصبر والتعاقد إلى غيرها

هذا هو الإطار العام، ولكن كانت هناك نماذج رغم صوفيتها العالية لم تنا بنفسها بعيدا وتطلق الحياة العملية بل شاركت في الحياة السياسية، بل وجدنا الملوك العلويين يقدرون قدر تلك النماذج، ويعرفون لهم فضلهم وعملهم.

وكان هناك نوع آخر من الصوفية المجتبيين، ولم تخل زاوية من الزوايا من نموذج أو أكثر. الذين يشاركون الناس في بعض أعمالهم اليومية ولا يشاركونهم في أكثرها، بل لهم حياتهم وتعاملهم وعبادتهم التي لا توقت ولا تقدر بمقدار، ومنهم من كان مستجاب الدعوة يخبر بالمغيبات، ومنهم، ومنهم.

ولم يقتصر الأمر على المتصوفين الرجال بل كانت هناك سيدات خيرات عابدات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله.

وبما أن العدد كبير جدا. فلنأت ببعض النماذج كنماذج:



1- الشيخ محمد بن حميدة مؤسس زاوية بن حميدة بجنان الرمان الرجرجي السعيد.

كان هذا الشيخ قطبا من الاقطاب الناصريين، وكانت له اواراد خاصة وتعامل خلص سواء مع الدولة او مع الناس عامة، فهو الذي قدمه المولى اسماعيل على زوايا رجرجة كلها ولا يزال ذلك في احفاده إلى اليوم، وهو الذي قدمه الشيخ احمد بناصر الدرعي للصلاة به بالزاوية الناصرية بتامكروت مرارا، وامام العديد من العلماء كالشيخ اليوسي والشيخ شرحبيل الخليفة، وكانما (انقبضت صدور بعض العلماء من إمامة هذا البدوي المجهول الحال، وكاشفوا الشيخ بناصر بذلك واراد أن يبين لهم منزلة الرجل المزدري به في نظرهم فسأله بمحضرهم: يا سيدي محمد (فتحا) إنك تقيم الصلاة وتتأخر في تكبيرة الإحرام، فأجابه الشيخ: يا سيدي إنكم والحمد لله صحاح الابصار وانا لا أراها إلا بالتى والتيا، فرد عليه الشيخ بناصر، و ماذا ترى يا سيدي محمد، فأجاب: بيت الله الكعبة، لا اكبر إلا إذا رايتها<sup>39</sup>) توفي تقريبا سنة 1142-1729

2- الشيخ علي بن عبد الله الكراتي الرجرجي

كان رضي الله عنه أميا و يصلح ما فسد للطلبة في الألواح، وإذا سنل في ذلك يجيب بأنى رأيت نوره ناقصا: وهو أول من أتى بالطريقة العيساوية الشاذلية لبلاد رجرجة وكان المولى سليمان العلوي يعتقده كثيرا ويطلب منه الدعاء، توفي سنة 1223

3- الشيخ عبد الله بن عمارة البوعزاوي الرجرجي

هذا الرجل بدوره هو أول من أتى بالطريقة التيجانية إلى الشياظمة من فاس حينما استقدم أستاذا بزاوية بن حميدة، وكان بالمحل الاسنى وهو شيخ كبير من أخيار هذه الزاوية

4- الشيخ عبد الله بن احمد الرجرجي القرمودي.

كان إماما في العلوم العقلية والنقلية، صاحب أذكار عجيبة.

وصفه سيدي عبد الله الكدومي إمام مسجد الاشراف بمراكش ب " الحبر الهمام، خليفة السادات الاعلام، بدور الليالي و شمس الايام، ساداتنا رجرجة، أدام الله النفع بهم.

5- الشيخ محمد بن عمر الرجرجي القرمودي :

استاذ مطلع حافظ للقراءات، عامل على نشرها و إذاعتها مدة أربعين سنة، وقد اشتهر بالصلاح. قال عنه الكانوني: " وكان رجلا ناسكا، مكث أربعين سنة يقرئ القرآن وقد حفر قبره بيده و يتفقده في كل حين بالقراءة.

6- الشيخ عبد الله بن محمد بن البشير المقدم السعيد الرجرجي.

ولد سنة 1894/1312

كان عالما فصيحا، قوالا بالحق متصوفا زاهدا ميالا إلى المهادنة واللين مع الحزم، ألف العديد من الكتب أبرزها السيف المسلول<sup>40</sup>

أوذي في القضية الوطنية الكبرى ونفي اثنتي عشرة سنة.

كان مقدما للتيجانيين وله فيهم توسلات. وكذا في سور القرآن والصحابة الكرام، كانت له محبة خاصة في الذات المحمدية النبوية، فنظم كذلك عدة توسلات وألف كتاب

(سلم القاصدين إلى حضرة أشرف المرسلين) وكان قصده من التوسل إلى الله في أن يُلطف به وبالمسلمين والمغاربة والملك المنفي ، توفي في فاتح قعدة 1383-16 مارس 1964

وهذا نموذج من توسل له يقارب المانتقي بيت .

لولاك يا خير الوري الاملاك	ما سبحت ولم تدر أفلاك
لولاك لا شمس ولا نجوم	لولاك لا رعد ولا غيوم
لولاك ما خلق هذا البشر	لولاك ما اضاء هذا القمر
لولاك لا اقطب لا اوتاد	لولاك لا غوث ولا افراد
لولاك لا سالك لا مجنوب	لولاك لا حبيب لا محبوب
لولاك لا قرءان لا حديث	لا مخلوق قديم او حديث
لولاك لا ارض ولا سماء	لولاك لا ناطق لا عجماء <sup>15</sup>

7- الشيخ عبد الله بن حمزة الرجراجي الأسفي

هذا الرجل من اكابر الرجال والافراد، والعلماء العاملين، موسوما بالصلاح، له في الوهاجة والسيف ترجمة حافلة.

من كتبه (مجمع الاذكار الممحنة للذنوب و الاوزار بالهيللة و الاستغفار، والصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله المحسنين الاخيار) جمع فيه اذكارا و ادعية و صلوات واردة عن رسول الله، وهي مائة صيغة. توفي يوم 25 شوال 1256 هـ .

وهذا نموذج لصلواته:

اللهم جلله باجلال عظمتك و كبريائك، وارفع سرادقك عزه فوق انبيائك و اصفيائك، اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

اللهم افرده بكمله و بهائه، و اجعله الواحد في ابتدائه و انتهائه، اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين<sup>16</sup>

و هناك كما اسلفنا الكثير.

### هوامش الفصل الثالث

- 15- المعسول ج . 11 ط المغرب.
- 16- المعجم التاريخي ص 1 ، -43 مطبعة الجامعة /الدار البيضاء بدون تاريخ.
- 17- ابن أبي زرع- الاستقصاء +
- 18- السالك و الممالك عن السيف المسلول ج : 1 ط 1407/1987

- 19- المعجم التاريخي- مرجع سابق ص : 43
- 20- يقول الكانوني: "ويغلب على الظن ان من اسباب تفرق هذه القبيلة توالي الفتوحات المالية عليها وتعظم اهل المغرب اهلها للياقوتة مخطوطة 1357 ص7 وهذا غريب نوعا، فمن الممكن ان يغادر القبيلة للسبب السالف افراد عديدون يعدون بالعشرات، اما ان يرحل معظم القبيلة فلمر فيه نظر كبير
- 21- أسس اخيرا الرجراجيون الرتنانيون جمعية اسموها (جمعية اكوز - رتنانة - ثقافية، تنموية شاملة، الصويرة القديمة )
- 22- المسالك و الممالك- مرجع سابق.
- 23- المسالك و الممالك- مرجع سابق.
- 24- انظر الفصل الخاص ب الرجراجيون والسياسة.
- 25- واظهر الله المرابطين واعلى كلمتهم ففتحوا بلاد السوس واطلعتهم جميع قبائلها فاخرج عبدالله بن ياسين عماله (...) وفتح مدينة شيشلوة بالسيف ثم فتح بلاد نفيس واتاه قبائل رجـراجـة وحاحـة فيليـعوه الانيس المطرب-ابن ابي زرع، تحقيق الهاشمي الفيلالي ج2/1355/1936 المطبعة الوطنية- الرباط
- 26- الحضارات الإفريقية ص، 67- ترجمة نسيم نصر ذمنشورات عويدات- بيروت ذلبنان- سلسلة، زدني علما .
- 27- التشوف /المقدمة ص : 34
- 28- نفس المرجع ترجمة ءامنة الديكالية.
- 29- السيف المسلول ص، 14
- 30- العامل هو الاستاذ محمسن التراب المكناسي الرجراجي
- 31- المعجب / مرجع سابق ص : 244 تحقيق محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي
- 32- التصوف الإسلامي بالمغرب لعلال الفاسي ص : -20 مؤسسة علال الفاسي.
- 33- انظر السيف الجزء الثاني.
- 34- انظر السيف الجزء الثاني.
- 35- انظر السيف الجزء الثاني.
- 36- الحضارات الإفريقية مرجع سابق ص، 187/67
- 37- الحضارات الإفريقية مرجع سابق ص، 187/67
- 38- العلم بتاريخ 29 رمضان 1417 - 97/2/7 - ص 51. عدد: 17087
- 39- السيف السلول ج، 2.
- 40- الصوفية فهموا ان عليهم ان يسجلوا حركتهم ففعلوا، وليس اكنار بن عجيبة من التأليف الا مظهرا لهذه الظاهرة، وهذا مولاي العربي الدرقلاوي نفسه، وهو لم يكن من العلماء، جمع رسائله فجاءت تأليفا ممتلنا بالحياة والحكمة- عن مقالة احمد زيدي ( حواشي التهامي الوزاني على تاريخ تطوان) ص: 85 عن كتاب: (التهامي الوزاني الكتبة-التصوف-التاريخ) ندوة اتحاد كتّاب المغرب- تطوان - 17-18-19 ابريل 1987
- 41- انظر كتابنا المرقون ، جولات في حياة الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد المقدم السعيد الرجراجي
- 42- انظر هذه التراجم في السيف المسلول ج : 2 مرجع سابق. وتتوفر خزانتنا على نسخة خطية لهذا الكتاب بدون تاريخ ولا ندرى ان كانت بخط المؤلف ام لا كما تتوفر على نسخة منه كذلك بخط الوالد رحمه الله.





## الفصل الرابع

### الرجراجيون و السياسة.

رغم أننا رددنا مرارا أن رجـراجة لم يكن لهم تشوف كبير للسلطة بقدر ما كان لهم الدين بغية الحفاظ على أمنهم واستقلالهم داخل مذهب الجغرافي إذ لم يعاركوا من أجلها ويحاربوا كما فعل ءآخرون في زواياهم التي لم تكن لها سلطة توازي سلطة زوايا الرجراجيين سواء الدينية الجهادية أو السياسية بمفهومها العام.. إلا أن هذا الحكم لا ينسحب عليهم في كل حال و ظرف فإنهم كثيرا ما امتشقوا السلاح الديني وفي ثنياه تكمن السياسة بكل تجلياتها فالإسلام لا يفرق بين السياسة والدين وقد تعرض الرجراجيون لمأساة التقتيل والنفي و التعذيب كما فعل بالشرفاء الأدارسة وكما فعل بكل شريف نابغ صامد منذ عرف الوجود النبوغ والصمود ولقد أشرنا إلى ذلك بما نرى أنه يكفي في دراسة مختصرة همها الأول والآخر التعريف والقاء بعض الأضواء للمتسرع أما التفاصيل فلها مراجعها.

### مع المرابطين و الموحيدين:

أما في عهد المرابطين حيث ظهوروا قوة بديلة موحدة، فإن علاقة الرجراجيين مرت معهم في مد وجزر ولكنهم لم يقطعوا معها الأواصر ويحملوا السلاح في وجهها فإنهم تجندوا معها وحاربوا في صفوفها، وكان منهم بعض القادة الذين تقدموا الصفوف ولا نظن أن ذلك كان رغما عن أنوفهم أو خشية تهديد وتقتيل وتشريد.

ورغم أننا لا نجد الكثير مما يدلنا على أن العلاقة بين الدولة والرجراجيين كانت في غاية السوء، فإن بعض النصوص المتوفرة لحد الآن تعطي الكثير:

أ- يقول أبو بكر البيهقي في أخبار المهدي بن تومرت: "وفي القرن الخامس الهجري انضمت قبيلة رجـراجة للمرابطين وفقدت استقلالها السابق، ثم خضعت مرغمة للموحيدين، فكانت من القبائل السباقة إلى الثورة عليهم بقيادة ابن هود الماسي سنة 542هـ، لذلك عوملت بقسوة شديدة من طرفهم"

ب- يقول ليون إفريني وهو يتحدث عن المرابطين " فبعد ما أخضعوا بسرعة حاحة وركراكة وصلوا إلى تامسنا حيث اصطدموا بالمقاومة المصمودية"

ونكتفي بهذين النصين لنقف فيهما على الكلمات المفتاح:

فقدت استقلالها السابق - خضعت مرغمة - أخضعوا - إلى الثورة -

ولا مجال للنقاش في أن الكلمات صعبة و كبيرة و موحية

فلماذا فقد الرجراجيون استقلالهم بعد انضمامهم للمرابطين؟ وكلمة انضمام

تدل على أن ذلك كان عن طيب خاطر أو بدون قوة على الأقل؟

ولماذا أخضعوهم؟ وهذا الخضوع والفقدان للاستقلال لا بد أن ينشأ عن حالة غير مستقرة وعن تملل ظاهر اتخذت له الاحتياطات اللازمة؟ ولكن لم كان التملل من الأصل ورجاجة يتوقون لنشر الدين وتوحيد الكلمة؟ فهل رفض الرجراجيون الحرب مع المرابطين ضد برغواطية؟ لا نعتقد فإن من كتبوا عن المرحلة جعلوا الرجراجيين على رأس من تصدى لأكاذيب البرغواطيين و تدجيلهم؟

هل عاملوهم معاملة الفاتح للمفتوح فارادوهم أن يكونوا ظلا لهم مع انهم مسلمون؟ هل تخوفوا من دعوتهم ورباطاتهم المنتشرة التي بدونها ما كان للمرابطين أن ينجحوا النجاح الذي عرفه التاريخ؟ هل طمعوا في خيرات بلادهم و كانت ذات استقرار و غنى و مدنية بحسب الظرف والإقليم؟

هذه الاسئلة التي قد تتناسل حتى لا يبقى لها حد، كلها تصب في اعتقادنا في جواب واحد و هو خوف المرابطين مما كان لرجاجة من سمعة جيدة و جهاد مستمر واستقرار في ناحيتهم معروف و كلمة ملبة عند قبيلتهم و خارجها.

ولا بد من الإشارة إلى موقف آخر و هو موقف العالم الرجراجي عبد الله المليجي الشوشاوي، كان هذا العالم باغمات، و لم يكن من العلماء الضيقي العطن فعاشوا منكمشين على أنفسهم و لم يسمحوا بهواء جديد يهب نحوهم فورطوا الحكم في جملة من القضايا أهمها: إحراق كتاب (إحياء علوم الدين للغزالي) كان للإمام عبد الله المليجي موقف واضح في قولته الخالدة و هو يسمع الخبر " و الله لا أفلح هؤلاء الأشقياء "، و سواء قصد النظام المرابطي المتمثل ساعتها في علي بن يوسف بن تاشفين أو الفقهاء المفتين بالحرقة فالمهم هو الموقف، وهذا كان موقف صديق له عالم رجراجي المعروف بابي بحر البلخي الساكن بدوره باغمات فإنه استعظم الأمر غاية، وسأل عن أولئك الذين أفتوا بحرق الإحياء فما ذكروا له أحدا إلا دعا عليه فما مر عليهم شهر من الزمان حتى لم يبق أحد من أولئك المفتين، وماتوا على أسوأ حال وعرفوا بأنواع العقوبات"<sup>45</sup>

وهذا العمل من الإمام المليجي زكاه موقفه من علي الملك: " وجاء السلطان من مراكش إلى أغمت أوريقة فزار عبد الجليل بن ويحلان وعبد الله المليجي وبعث إلى كل منهما ألف دينار ، فاما عبد الجليل فاخذنه و تصدق به على المساكين، و أما عبد الله فردده عليه "

ونكتفي بهذا لننتقل في عجالة إلى الموحدين لنستكنه هذه النصوص يقول دونيز بولم "denise Paulme" ولكي يصح الموحدون الاخلاق المسترخية في أحضان المدنية الاندلسية، ولكي يصححوا التعليم بوحدانية الله، أسقطوا دولة المرابطين وعندما أهمل الموحدون الدور الديني في الدولة انفصل عنهم بنو مرين ، و اغتصبوا منهم المغرب ، و كما أن المغرب دخلت في سلطة الموحدين باسم التصحيح الديني فكذلك خرجوا منها و هي عاصمتهم - باسم تجديد الإسلام"<sup>46</sup> يقول ليون فريني: "ما كان انتصار المرابطين أن يصبح ممكنا لولا عدم اكتراث



بأقي قبائل المجموعة المصمودية و خاصة منها قبيلة ركراسة، و فقا لنزعة ما زالت تميز البربر، كذلك كان عليهم بدورهم أن يؤدوا، فيما بعد، غالبا ثمن لامبالاتهم<sup>47</sup> و يقول: "ومهما كان الأمر فإن الثورة اشتعلت من 1147 إلى 1149م من الشمال إلى الجنوب سواء في حاحا أو لدى ركراسة و دكالة، و كان قمع الثورة رهيبا، فقد دخلت جيوش الموحدين في حرب عاقبت خلالها بالتتابع ركراسة و دكالة و هسكورة و منطقة تادلة، و مع ذلك فإن هذه الحملات التأديبية لم تبد في أعين عبد المومن كافية، و لذلك قرر من أجل إرساء سيطرته و إرساء الإيمان بقاعدة التوحيد القيام بعملية تطهير شاسعة، فبناء على لوائح مهياة مسبقا بعناية، تم ببرودة إعدام 37720 ضحية من بين ساكنة مصمودة السهل، مما جعل حدا لكل إمكانية خارجية للنهوض من جديد"<sup>48</sup> و إعدام قرابة أربعين ألفا من أعيان أربع قبائل ليس بالسهل و لا بالمقبول و لا حتى بالمبرر إلا إذا بررته القوة و السلطة بمنطقها المعروف.

و إذا أضفنا كلام الناصري عن ثورة بن هود حيث "أخذ بدعوته أهل سجلماسة ودرعة و قبائل دكالة و رجراجة... فسرح إليهم عبد المومن عسكريا من الموحدين"<sup>49</sup> إلى هذا الذي نقلناه إلى ما رايناه لابن عذاري أدركنا المحنة التي كان فيها الرجراجيون أيام الموحدين خاصة في أول نشونها خاصة في أيام أول سلطان بها وولده يعقوب يوسف.

فمن أين جاء الخلل بين الموحدين و الرجراجيين حتى ساهموا في ثورة بن هود تلك الثورة التي كادت تذهب بالدولة الوليدة حتى لم يبق لهم إلا العاصمة كما قالوا؟ هل من مذهبهم الذي يخالف مذهب الرجراجيين السني؟<sup>50</sup> لماذا عاملوهم بقسوة متناهية و ضيقوا عليهم في الزرع والضرع حتى صيروهم ضيعة لهم للضرائب و الجبايات؟

لماذا طال هذا الجفاء بين الدولة الموحدية و رجراجة رغم أن الناحية كانت لها إسهاماتها العلمية و الصوفية و الإنسانية و الاقتصادية التي أشرنا إليها في غير هذا المكان؟

هل يدخل تعدد الرباطات الكثيرة وأصحابها الصوفيين وسمعتهم المحترمة في ذلك؟

هل كان العلماء الرجراجيون في طليعة المنتقدين للرخاوة الموحدية و لو في أيامها الأخيرة و تعسفت السلط المختلفة؟

هل هذه الأسباب كلها أو بعضها على الأقل هي التي كانت وراء الموقف الرجراجي بل غذته و بلورته حتى كان أصحابه على رأس قائمة مؤيدي المرينيين؟

### علاقة المرابطين والموحدين بالمتصوفين:

من خلال ما نشر قديما وحديثا حول هذا الموضوع يظهر أن العلاقة عاشت في توتر دائم أدى في أحيان كثيرة إلى ما لم تحمد عاقبته، إذ كان المسؤولون في الدولتين ينظرون إلى المتصوفين، أو على الأقل، إلى الكبراء منهم، نظرة الشك والريبة والعداء الداعي إلى العقوبة المادية والمعنوية، ولعلمهم كانوا يطبقون نظرة المعز صاحب

القيروان، حيث كتب للعالم والزاهد محمد بن عبد الصمد الذي كانت له في قلوب الناس منزلة خاف منها المعز الحاكم: "إن أهل الزهد والوعظ، وتأليف العامة وإقامة المجالس، أضر الأصناف على الملك، وأقبحهم أثرا في الدول، فيجب أن يتدارك أمرهم ويحسم الأذى منهم... ففهم عبد الصمد أنه قصد بذلك"

إن العلاقة السيئة جدا بين الدولتين والمتصوفين نشأت عن تصرفات غير مسؤولة تجلت في عدة مظاهر منها ما هو أساسي ومنها ما هو ظرفي ثانوي ولكنه فاعل فبالنسبة للمرابطين:

1- إن الدولة المرابطية ضيقت الخناق على العديد من المتصوفين الكبار وخنقت أنفاسهم وفرضت عليهم مراقبة وقيودا وصلت في بعض الأحيان إلى الزج في غياهب السجون كما وقع لابن الأصم وغيره

2- عملت على استمالة الصوفيين عن طريق التضييق من جهة، والإغراء من جهة أخرى، وبذل الملل والعروض من جهة ثالثة الشيء الذي دفع بعلي بن يوسف كما أشرنا لذلك، لزيارة أغمت وإغناق الأموال على عبد الجليل بن ويحلان وعبد الله المليجي الرجراجي وغيرهما دون أن يظفر منها بما يريد لأنه كان يريد التخفيف من تأثير حرق الأحياء للإمام الغزالي.

3- هذه السياسة التي عرضت كثيرا من المتصوفين للعنت والإذابة ركزت التباعد الكبير بين الدولة وبين هؤلاء الذين لهم وزنهم ومكانتهم داخل المجتمع خاصة حينما ينقل المتصوف من مكان إقامته إلى العاصمة مراکش للامتحان جراء وشاية من حلسد، أو انتقام من معاند، أو توجس بعيدا عن الحقيقة والمجال.

4- إتباع سياسة لوحظ فيها بعض العنصرية، وإن كان أثرها ظل كبيرا في الدولة الموحدية التي لم تكن مصمودية والنبي أسمت أنصارها موحدين.

5- إن هذا التطرف في حق أناس وجهتهم الأولى تعبدية وأخلاقية كان من أسباب التعجيل برحيلها وهي ما تزال في طراوة الشباب دونما شك.

وأما بالنسبة للموحدين فإن الأمر كان أخطر بكثير، إذ تدخلت مصالح وقوى وحسابات ضيقة وتصرفات مشينة، وتمكن الإشارة إلى:

1- أن المتصوفين لم يكونوا راضين عن الدولة الجديدة وعن تصرفاتها خاصة في عهدها الأول أيام عبد المومن وولده وحفيده اللذين رأوا أن المتصوفين داء وبيل، وقنبلة موقوتة تنتظر المناسبة لتنفجر فتفجر الدولة وخاصة بعد الثورات التي اندلعت هنا وهناك، وفي مناخ جد سيئ بالنسبة للسلطة الناشئة والقائمين عليها وكان لهذا الأمر تأثيره المباشر على موقف الخليفة من المتصوفة بحيث أضحت الحيلة والصرامة، والتنافر والتباعد من سمات سياسته تجاههم، فالمراقبة الرسمية لنشاطات بعض المتصوفة المشهورين تدخل في إطار قمعي شامل استعمله الخليفة الموحي لتنحية الانشقاقت السياسية والثورات التي تبعت الاستيلاء على عاصمة المرابطين مراکش، وثورة ابن هود، ووصل القمع درجته القصوى مع ما يعرف بعملية (الاعتراف) الدموية التي قام بها عبد المومن سنة 544هـ-1150م لاستئصال المعارضين والعناصر

- المشكوك في ولانها في مختلف القبائل الخاضعة للموحدين<sup>32</sup>
- 2- ان القهر الذي سلب على عيون من الصوفيين الكبار وفي مختلف مناطق الامبراطورية، وسع الهوة بين الدولة وبين الشعب مما جعل الدولة دائما متاهبة قلقا حذرة متوجسة مما كان له الاثر السيئ على الاوضاع بعلمة، وان كانت تبدوا غير ذلك بالنسبة للإنسان العادي.
- 3- ان النماذج التي تعرضت لبطش عبد المومن ومن جاء بعده وعمالهم وولاتهم كان يمكن ان تكون في جانب الدولة لوعولجت الامور بتدبير متقن وسياسة التاتي والانضباط النفسي وعدم الانصياع للموثرين والمهووسين.

### وهذه أمثلة :

- عبد الجليل بن ويحلان وهو من متصوفة اغمرت استدعى لجبل إجليز، فلما اعتذر للرسول بالمرض قال له : لا بد من النهوض ولو حملناك على نعش وكان ذلك وقت الظهر، فطلب ان يؤخر إلى وقت العصر، فلما كان وقت العصر خرجت على الناس جنازته رحمة الله عليه<sup>33</sup> وكان الهدف طبعاً من استدعائه معروفاً.
- ابو شعيب ايوب السارية نكل به واشخص إلى مراكش مهانا وامتحن، وفعل كذلك بأصحابه ما فعل: ويبدو ان السلطة الموحدية لم تغض الطرف عن نشاطات ابي شعيب ايوب، ووضعته هو واتباعه تحت المراقبة الشديدة بل لم تتورع عن التنكيل بهم في بعض الاحايين كما يستشف ذلك من موقف والي أزمور اتجاه هذا الوالي، فقد (امر الوالي يوما بإحضار جماعة للقتل ففرغ الناس إلى ابي شعيب، فاخذ في البكاء فقال لهم والله ما ابتليت بهذا إلا من اجلي، ولو مت لاسترحتم مما نزل بكم)<sup>34</sup>
- أبو يعزى وما ادراك ما هو- أشخص إلى مراكش مرتين ومورست عليه ضغوطات حتى يلين، وعدت انفاسه وسجن في صومعة مسجد أيلما ذوات العدد وليس معه ما يقتات به إلا أقراص من دقيق البلوط كما في التشوف، وفي كتب الفقيه أحمد التادلي الصومعي " المعزى ،في مناقب الشيخ ابي يعزى " العجب العجيب.
- أبو ابراهيم اسماعيل الخزرجي الذي قيد وسجن في مطمورة عميقة عقب إلقائه خطبة وعظية يوم جمعة لم ترق العمل الموحدي وقل مثل ذلك في الشيخ أحمد أبي الحسن علي ابن حرزهم الذي سجن بمدينة فاس<sup>35</sup>
- أبو مدين شعيب بن حسين الانصاري الإشبيلي النازل ببجاية أمر بالاشخاص إلى مراكش فمات وهو في الطريق ودفن خارج تلمسان عام 594 او 588 هـ، وهو العارف بالله الذي "خاض من الاحوال بحارا، ونال من المعارف أسرار"<sup>36</sup>
- القاضي عياض وهو من هو ألم يحمل من سبته بعد ثورته على الموحدين. ويغرب في مراكش بعدما ذاق من العذاب ألوانا طيلة سفره ؟
- ألم يغتل فقالت فيه الأمة المغربية (سم ابن العربي وخنق اليحصبي) ؟
- ألم يكن هناك من حل غير الخنق لرجل قال عنه المغاربة (لولا عياض ما ذكر المغرب) وقال عنه المشاركة: "لولا الشفاء لعياض ما عرف المغرب بالمشرق
- هل هناك من دناءة فوق ادعاء أن الرجل سمه يهودي لأنه لا يخرج يوم السبت ؟



أليست هذه ومثيلاتها إدانة صريحة للحكم الموحدى ؟

4- هذه السياسة دفعت ببعض الفقهاء والمتصوفين الذين لهم ذكر ومكانة إلى الانضمام إلى الثوار كما فعل أبو محمد تليجي بن موسى الدغوغى الذي شارك في ثورة عتاب على أبي يعقوب يوسف، فقد جاء في التشوف: " قال داوود، وحدثني أبو محمد قال: طلبت في أيام عتاب طلبا شديدا

ولو وجدت لقتلت، ثم قال: وكان واعظا برباط شاكرا في وقت لا يصعد منبر جامع شاكرا إلا الآحاد"، ومثله الصوفي أبو وازغار بن علي المشتراي الذي ترك المغرب فارا إلى المشرق بعدما طلب أصحاب عتاب وكان منهم.

5- ينهب البعض إلى أن الموحدين مارسوا الاغتيالات والتصفيات الجسدية لبعض رموز التصوف ومنهم أبو عبد الله محمد بن الاصم الذي قتل عام 542 هـ وهو يتعبد.

6- وهذه النماذج غير رجراجية، فهل نفهم من هذا أن الرجراجيين سلموا من العسف والاضطهاد؟ بالعكس، وحتى لا نطيل ناتي بنموذج واحد هو:

-أبو إبراهيم إسماعيل بن وجماتي الرجراجي الذي له ذكر وأي ذكر، وقد كان حاملا راية العصيان في وقت بدأت فيه الشدة الصوفية تلين أيام يعقوب المنصور ومع ذلك فنحن لا ننفي وجود نماذج ظلت على مقاطعتها المبدئية للحكم ولاعطياتهم، وتتحاشى لقاء رموزه، بل ولجأت إلى التطرف وانتقاد الموحدين علانية الأمر الذي جعلهم موضوع متابعة وملاحقة، وتم الزج ببعضهم في السجون، هذا هو حال أبي إسماعيل بن وجماتي الرجراجي المتوفى سنة (595 هـ - 1198 م)، فابن الزيت يخبرنا أنه بعد صلاة الجمعة في مسجد قرية أجوز من بلاد رجراجة قام هذا الولي يعظ الناس بحضور العامل مما أثار مخاوف الأهالي، " فتكلم في حق العامل بكلام خاف منه الناس على انفسهم، فخرجوا من المسجد كلهم وخرج العامل من المسجد وما لبث أن تم اعتقاله وحملوه إلى السجن وقيدوه، وجعلوه في مطمورة عميقة (...) وأمر الكاتب من يكتب فيه كتباً إلى حضرة مراکش"

أما رباط شاكرا وهو الرباط الذي ذاع صيته في العالمين بما كان يحضر في موسمه كل رمضان، بل وفي الأيام العادية من متصوفين ومتصوفات وأصحاب الشأن فلم ينج بدوره من التنكيل والعقاب حيث أصبح آخر القرن السادس الهجري يشكل مركز اصطدام حاد بين الأولياء والمريدين من جهة، وممثلي السلطة الموحدية من جهة أخرى حيث استغل الموحدون ذلك لخلق الرباط وتحييده بشكل عنيف باعتباره بؤرة محتملة لمعارضة سلطتهم<sup>60</sup>

ولعل هذا وغيره كثير في حق الرجراجيين بدورهم هو الذي دفع بالقائد محمد بن عبد الكريم الرجراجي لمحاولة تكوين إمارة رجراجية بالمهدية أواخر القرن السادس الهجري وطرد عمال الموحدين وتبعهم حتى تونس، ولكن ظروف أخرى منها تعاون الثائر يحيى الميورقي وأبي زيد بن أبي حفص بن عبد المومن وقلة الخبرة جعلته ينهزم بعدما تلقب بالمتوكل على الله وألف جيشا وحارب وانتصر.<sup>61</sup>

هذه وقفة موجزة حول التصوف زمن المرابطين والموحدين، ويظهر من خلالها أن الدولة لم تكن ودا خالصا ولا حتى متوسطا للمتصوفين، رغم أن الصورة بدأت تتبدل بعدما ارتقى العرش يعقوب المنصور حفيد عبد المومن، أما بعد نهاية الدولة الموحدية، فقد انضافت مشاكل أخرى كان لا بد فيها من تدابير أخرى.

### بين المرينيين و السعديين:

لعل الأسرة الحاكمة التي لم يشب علاقتها عنف أو اضطهاد للرجراجيين هم المرينيون الزناتيون، ورغم أن رجراجة ليسوا زناتيين بل مصامدة فإن الأصرة التي جمعتهم جميعا و هي أصرة التعاون و المصالح المشتركة روعيت من الجانبين بل تحسنت أحوال الرجراجيين كثيرا بعدما أصابهم من ضر و مهانة و تعسف حتى غادر الكثير منهم أرضهم و حتى توقفت مواسمهم خوفا على نفوسهم من هجومات السلطة و من يشايعها فما السبب؟

ينقل صاحب الحل الموشية هذا النص المفعم بالكثير: "وكان أول من بايعه من أهل المغرب يعني أبا سعيد عثمان هواره ورجراجة ثم تسول مكناس ثم بطوية ثم قشتالة ثم سواره ثم بهلولة ومديونة، هؤلاء هم السابقون لبيعته فوضع عليهم الخراج وكان ذلك سنة أربع عشرة وستمئة"

وليس من شك أن للموقف الرجراجي ما يبرره:

- هذه الشدة التي اصطنعتها الدولتان خاصة الموحدية.
- هذه الاستفزازات التي نرى أنها مبالغ فيها والتي طبقت فيها قاعدة الضغط يولد الانفجار

هذا الخوف الذي لامبرر له من صلحاء رجراجة وزواياهم بل من الشياظمة بصفة عامة

- هذا الاستغلال الفاحش لثرواتهم وكسبهم ومعاملاتهم المختلفة بل والتنكر التام والاحتقار الممنهج فلا يتذكرون إلا وقت الجبايات والضرائب

وقد حفظ المرينيون لرجراجة ذلك الصنيع فإنهم جمعوا شتاتهم ولموا شعنتهم من جديد وأكرمهم ففي عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني واثر جوازه الاول إلى الاندلس سنة 674هـ التام الشمل الرجراجي، وذلك أن هذا الملك وهو بالاندلس حدث عن عالم جليل أخذ بناصية العلوم، فلما أوتي به إليه وجده فوق ما ذكر فإذا هو العالم عبد الجليل بن عبد الله الشيخ الرجراجي السعدي، فآكرمه الملك بعد اطلاعه على أحوال القبيلة والناحية وبعث معه بعثة مهمة خاصة فجمعت شتات ركراكة وردتهم لمكانهم إجلالا له وتقديرا، وأسس زاويته بسور الجمعة كما جاء في كتاب السيف المسلول.

ولا شك أن هذا العالم هو الذي طور علانق المرينيين والرجراجيين وزادها صقلا وتوهجا، فاثمرت وكانت الظهائر السلطانية جنى لذيذا ، وللزاوية التي منها الشيخ العالم عبد الجليل نصيب.

فهل هذا الإكرام كان للعلم وحده ؟ أم أن للسياسة دورها ؟ مهما يكن فقد كان

لركراكة مركزهم لدى الدولة الجديدة القائمة، ولا بد أن الجيش المريني بدوره به اعداد من رجراجة خاصة إبان القضاء على ثورة مسعود بن كلنون السفيناني ببلاد نفيس وهي من مدنها حيث وقف المرينيون من أول يوم موقفا حازما فيما يخص وحدة القطر أو وحدة الإمبراطورية.

وفي هذا الإطار نشير لقضية العالم عمر بن محمد الرجراجي الفلسفي الذي قال عنه ابن الخطيب: " كان من أولياء الله تعالى و صدور العلماء ، وشهرته بالصلاح أكثر من العلم، قرأت عليه الحوفية في الفرائض وحضرت معه في مجلس القلب في الفقه والحديث والكلام، ومجلس العلامة الونفيلي الضرير وهو السارد، وانتفعت به كثيرا، وإن قصدته فيما عسر علي فهمه ، أجلسني مع السارية وجلس بين يدي كأنه السلئل لتواضعه وإخفائه، وكان يزور السلطان ويجلس معه ويحضره على فعل الخير ، ومراعاة من يستند إلى الله ولو كان كاذبا. "

وقد دخل هذا الفقيه هو و شيخه بن عباد والأغصاوي يوسف على أبي سعيد المريني فأعطاهم جميعا كسوة ومائة دينار للواحد، فلبس عباد اكل و لبس ، ويوسف اعتذر بالصيام ولبس وتزود بينما فقيهما الرجراجي ما اكل و لا لبس وبالتالي لم يقبل الدراهم.

وقد تعرض لهذه القضية الإمام الصومعي التلالي في كتبه : " المعزى في مناقب الشيخ الولي أبي يعزى " كما جاءت في مراسلات ، وإن لم تذكر أسماء بين الإمامين الفقيهين أبي عيسى المهدي الدكالي العوني الطالببي ومحمد بن دح ، حيث بعث الاول للثاني رسالة يستنكر عليه فيها أشياء: "

بلغني أنك تأكل من موائد الخلفاء و تلبس الحرير، وتقبل من هداياهم وغير ذلك.

..

فكان من جواب الثاني: " ... وقال سيدي زروق في شرح الإرشاد ، و حكى الفقيه الغوري أن السلطان أبا الحسن المريني دعا فقهاء وقته وكانوا أهل علم و دين فكان من قال منهم : إني صائم، ومنهم من أكل و نال، و منهم من أكل الغلات كالسمن فقط و منهم من شمر للأكل... "

ومن تأليف هذا العالم الجليل كتب: ( هداية من تولى، غير الرب و المولى ) و قد حققه و كتب عنه دراسة وافية بالإسبانية الدكتور خوستيل عام 1974 نال بها الدكتوراه و نشرها مؤخرا المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدير.

وقد اعتنى بهذا الكتاب عناية كبيرة لأنه بالدرجة الاولى سيلسي و يطرح ما ينبغي للسلطين اتباعه، وهذه الرسالة لا شك فيها منه إلى ملوك المرينيين ساعتها ونشير إلى هذه العناية ضمن موقفين:

- الاول: كتبت مجلة " الأمة القطرية دراسة عن صاحب الكتاب الذي عاش في فاس و تونس و رحل لمصر ومنها إلى مكة فحج، و من كلام الفقيه في كتبه بالمقدمة: " أما بعد ، فإن مقام السلطنة نائب عن مقعد النبوة، فكما وقع العدول في حقه من الصفوة العاملين وقع التفريط و الإفراط من الجفاة الجاهلين الغافلين، فلا بد للغافل من



علم ذلك ليسلك سبيل المومنين وإلا تاه في بيداء الضلالة كما تاه عن طريق العدل فيه أكثر الهالكين، و الطريق العدل فيه ينحصر في مقدمة و أربعة أبواب: الباب الاول فيما للسلطين، الباب الثاني ، فيما عليهم، الباب الثالث فيما ينبغي لهم، الباب الرابع فيما ليس لهم.

ويفيد الدكتور محمد عبد الحميد عيسى صاحب الدراسة انه كان في هذه الفترة فقيه آخر بهذا الاسم فيقول: " اسرة الرجراجي اسرة مغربية عريقة، تقع أرضها في الجنوب الشرقي من البلاد و قد أنجبت هذه الاسرة عددا كبيرا من العلماء و الفقهاء خصص لها التادلي في كتابه التشوف جزء كبيرا عنوانه: (اخبار صالحى رجراجة). وقد شهد منتصف القرن الخامس عشر الميلادي شخصيتين علميتين كبيرتين من هذه الاسرة حملا مع اسم (أبو حفص عمر الرجراجي (و كان اكبرهما أكثر شهرة و أشارت إليه جميع ترجمات عصره أو التالية لها و أجمعت جميعها على تاريخ وفاته في السادس من ذي القعدة عام 810هـ. إلخ " ،

انتهى ما كتبه الاستاذ، و ليس هذا صاحب الكتاب المتوفي سنة 869هـ 1465م - الثاني رسالة بعثها إلي الدكتور بروليو خوستيل مدير الخزانة ريال مدريد /اسبانيا بتاريخ 14-11-76، هذه ترجمتها:

السيد محمد السعيدى الرجراجي / ليسى الهداية الإسلامية /أسفى عزيزي:

بالمجلد الخامس-السادس من مجلة "المنارة " قرأت ملخصا يتعلق بكم حيث وجدت عنوان كتاب لوالدكم يمكنني الاعتماد عليه و هو " الثغور الباسمة في علماء و قواد و رجال رجراجة.... " <sup>67</sup> ولقد اتخذت عنوان أطروحتي للدكتوراه: (الهداية للرجراجي) دراسة - نقد - ترجمة.

وقد اعتمدت في الأطروحة على أن مؤلف هداية من تولى ، غير الرب والمولى <sup>68</sup> والمسمى أبا حفص عمر بن موسى بن محمد الرجراجي ليس الرجراجي الشهير المتوفى سنة 1408/810م والمشار إليه في "الهداية" بعمر الرجراجي والمقدم من المؤلف على أنه استأذه الذي يغدو المؤلف بدوره استأذا له، و فوق هذا و حسب (الهداية) يوضع سؤال محير و غامض حول وفاة الرجراجي الشهير الذي أنعته بالرجراجي الكبير تمييزا له عن تلميذه الذي أنعته بالرجراجي الصغير .

وهنا بمكتبة الاسكوريال التي أديرها توجد نسخة للهداية كما توجد نسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط استفدت منها ، و هناك ثالثة في المكتبة الخاصة لمحمد عابد الفاسي التي لم أستطع زيارتها ولكني تلقيت منها العشرين سطرا التي تنقص النسختين الاخرين.

وسؤالي هو: هل بالثغور الباسمة معلومات عن الرجراجيين ؟ وكيفما كان. فالمرجو منكم أن تبعثوا لي نسخة من هذا المؤلف على أن أردّها لكم برجوع البريد وسؤالي الثاني هو هل تعلمون نسخا أخرى للهداية ؟

والسؤال الثالث كيف تتوقعون انكباي ( اختياري ) للهداية ؟  
وفي مراسلة اخرى ( خاصة ) سابعث لكم بنسخة من ملخص اطروحتي للدكتوراه  
والتي احب ان تعطوني فيها نظريتيكم و ملاحظاتكم.

في انتظار جوابكم، تقبلوا-عزيزي-أطيب تقديري و اعتياري.

بروليوخوستيل-مدير الخزانة ريال

إننا نرى كملخص لعلاقة الرجراجيين بالدولة الحاكمة المرينية أنها علاقة اعتمدت  
بالدرجة الاولى على الفهم والتنوير الفكري، وكان واسطة عقدها العلماء وليس  
السياسيون المحترفون والعسكريون المرهبون ، وذلك لان الدولة نفسها كانت دولة  
علو واعمار وما المدارس المشيدة في مختلف مدن المغرب إلا رمز من رموزها  
المضيئة، ثم او لم يضم البحر فيما ضم من شخصيات أربعة مائة عالم كانوا مع الملك  
في رحلته إلى تونس حيث كانت فاجعة كبيرة لا يقدر قدرها ولا ينفع فيها تأوه ولا نواح.  
اما علاقة الرجراجيين بالسعديين فشيء آخر و نستطيع أن نقول إنها مرت في  
أربعة ادوار:

### الدور الاول و هو دور التأسيس .

باستيلاء الغربيين على العديد من الشواطئ المغربية حتى ضاقت البلاد بهم و  
ضيقوا الخناق على الاهالي في الحواضر و البوادي و طبقوا ما ننزه عنه هذه الصفحات .  
وبضعف الوطنيين و ملوكهم الذين أصبحوا الاعيب في يد الوزراء و الكتلب و  
الخدم و النساء، وبسقوط هيبة الدولة وانتشار ما يمكن أن ينتشر في مثل هذه الاحوال  
جاءت النجدة كما هو معلوم من رجال الدين و من ذوي التفكير و الزكاة فكانت كل  
ناحية تغلي كالمرجل يتقدمها إمام مقدم و مجاهد كفاء و شجاع صوال.  
وكانت رجراجة- وهي دوما هكذا- في المقدمة و بدون حدود فتحركت وانجزت و  
حققت و أن العدد العديد من القبلب المتواجدة سواء على الساحل او داخل البلاد  
لتشهد بذلك المجهود المضني الذي بذلوه و الاستبسال الكبير بغية نصر الدين  
والعقيدة متكلين على الله موجهين إليه الوجوه و القلوب متحققين من وعده في قوله  
تعالى: **"إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن**  
**لهم الجنة صدق الله العظيم .**

والصراع المرير بين هؤلاء و البرتغال بالشياطمة و حاحا هو الذي جعل الشياظمة  
من رجراجة و غيرهم وشيوخ حاحا ينهبون إلى السوس و يطلبون من أبي عبد الله  
القائم السعدي أن يحضر إلى بلادهم ليجاهدوا وإياه و يخوضوا معارك الحرب معا.  
و هكذا كان الركراكيون من أول يوم مسؤولين عن الدولة السعدية و التعاون معها  
ومناصرتها والوقوف في وجه مناوئها، و قد حفظ التاريخ أن أبا عبد الله القائم السعدي  
وولده أبا العباس أحمد الأعرج نزلا بأفوغال وظلا يقاتلان ومن معهم العدو البرتغالي إلى  
أن استشهد الوالد سنة 923هـ / 1517م ليخلفه الولد الذي فتح حصن فونتي

بحاجة بعدما بقي به البرتغال اثنتين وسبعين سنة، كما قضى على أوكار البرتغال في تالمست وأسفي وغيرهما بين سنتي 927-928هـ / 1521-1522م قبل أن يرحل إلى مراكش بعد بيعة الهنتاتيين سنة 930هـ .

إن هذه الأحداث العظيمة و الأهوال الجسيمة و النتائج القيمة التي أسفر عنها التصارع ليس الوصول إليها سهلا ما لم تكن هناك قاعدة دينية مؤطرة مؤمنة بنفسها و مقاصدها ورجال هذا الحقبة ما زال الكثير منهم في عالم الجهل به، و لكن الزوايا الرجراجية أبلت البلاء الحسن و أبلت من البطولات و قدمت من الشهداء ما ظهر أثره بعد ذلك سواء في المجال الشعبي أو الرسمي حيث نظر الملوك السعديون إلى رجراجة نظرة إجلال و اعتبار و تقدير و عرفان .

### الدور الثاني دور بداية انحسار الود،

وذلك أن الدولة وقد عاش مؤسسوها ببلاد رجراجة- تيقنت من أن لهؤلاء نفوذا قويا سياسيا واجتماعيا و دينيا و صوفيا فارادت أن تلجمهم و تحد مما يتمتعون به إن لم تستطع أن تجعلهم على المقاس .

وكان للحركة الدينية الصوفية التي تركها الإمام محمد بن سليمان الجزولي صدى كبير و مريدون متمسكون تجاوز عددهم عشرة آلاف مريد و كلهم مستعد للبذل، و كلهم مستعد للفدائية، فكان تخوف الدولة قائما وكانت لها حساباتها و تقديراتها خاصة و إن الأهالي كانوا يعرفون أن الجزولي شريف كما قال هو نفسه: "ليس العزيز من تعزز بالقبيلة وحب الجاه إنما العزيز من تعزز بالشرف والنسب وأنا شريف في النسب جدي رسول الله (ص) وأنا أقرب إليه من كل ما خلق الله"<sup>69</sup>

وجملة أنا أقرب إليه من كل ما خلق الله لا بد أن تثير أعصاب كل حاكم خاصة إذا كانت الدولة في بداية أمرها خاصة مرة أخرى إذا كان القائل متحصنا في ناحية أهلها مستعدون لكل شيء رغم أن الجزولي لم يحضر قيام الدولة السعدية.

"وكسبت الطريقة الجزولية صيتا ونفوذا إلى حد أنها جعلت الطريقة الشاذلية التي منها انبثقت تقع في طي النسيان وحلت محلها تماما في المغرب، حينئذ تأسست كثرة لا تحصى من الزوايا وعدد كبير من الطرقية، فسعى السلاطين السعديون إلى التخلص فورا من هؤلاء الذين ساعدوهم وبالتالي، ضايقوهم في ممارسة سلطتهم، وهكذا خربت كثير من الزوايا وتفرقت الطرقية شذر مذر أو تم وأدها قبل أن ترى النور"<sup>70</sup>

وزاد الطين بلة ثورة عمر الشيعظمي المعروف بالسياف وإخراجه لثابوث الجزولي من القبر و حمله معه في معاركه التي كثيرا ما انتصر فيها و التي أرهقت الدولة مالا وعتادا ووقتا وأخطرها بشرا، الشيء الذي ترتب عنه كثير من الترتيبات حتى دعا الأمر إلى نقل رفات الشيخ الجزولي من أفوغال ليدفن بمراكش.

ورغم أن ما بين ثورة السياف بعد موت الجزولي والظرف الذي نتحدث عنه يصل إلى قرابة السبعين سنة فإن الناحية كلها كانت مشدودة إلى من يتزعّمها.

ثم لماذا نقل كذلك رفات أبي عبد الله السعدي إلى مراكش وقد كان قبره مجاورا



لقبر الجزولي بافوغال ؟ هل الخوف من النبش عليه واحرقه أو اتخذه ورقة رابحة يساوم (بالمبني للمجهول) بها الحكم على ما لا يراه في صالحه ولا في صالح الحقبة ؟  
ومع كل الذي المحنا إليه فلم تكن هناك قطيعة بين الجانبين ولم يصل الأمر بين الركراكيين والسعديين إلى الطريق المسدود وكل ما هناك غضب وتوجس وترقب، دليل ذلك أن الرسائل المخزنية والظواهر التوقيرية مؤثر إيجابي على ما نقرر، حتى إننا لا نجد أي ذكر للزاوية الرجراجية حينما خضعت الزوايا الأخرى، لامتحان عسير أيام أبي عبد الله محمد الشيخ الذي كان إلى علمه وثقافته وأدبه قاسيا مسرفا في القسوة مبالغيا فيها ففتك بالبعض وشرد البعض وقتل الفقيه عبد الواحد الزقاق كما قتل الفقيه عليا بن حرزوز الخطيب بمكناس وهو صديق حميم للشيخ أبي عثمان سعيد ابن أبي بكر الرجراجي:

### الدور الثالث: عودة الصفاء من جديد .

وقد كان بطل هذا الدور السلطان أحمد المنصور الذهبي العالم الأديب السيلسي الشاعر المنشئ الباني الغير متوقف في الدماء ولا هياب للوقعة فيها<sup>71</sup>  
ولقد كان في بلاطه من الرجراجيين من لهم الكلمة المسموعة و ممن يؤثرون في الأحداث، فقد كان أحد كتاب ديوانه رجراجيا وهو الفقيه الحجة الشاعر البليغ علي بن منصور الرتناني المعروف بارتنو ، وله منه ظهير وقفت عليه ضمن وثائق زاوية سيدي عيسى بوخلبية مؤرخ ب 1014هـ وقد نشر وترجمة له بالسيف المسلول.  
وللشاعر الرتناني القصائد الغر في المنصور ومنشأته ومواقفه ، وفي الاستقصاء وغيره الكثير ومنها التي سنشير لها لاحقا.

يقول الناصري وهو يتحدث عن كيفية إلقاء القصائد أمام المنصور " قام شعراء الدولة فيتقدم قاضي الجماعة الشاطبي بلبل منابر الجمع والأعياد فينشد قصيدة يفتحها بالتغزل والنسيب ، فإذا تم تخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولي عهده، فإذا قضى نشيده تقدم الإمام المفتي المولى أبو مالك عبد الواحد الشريف فينشد قصيدته على ذلك المنوال فإذا فرغ تلاه الوزير أبو الحسن علي بن منصور الشيطمي، ثم تلاه الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي...<sup>72</sup>

من قصيدة " الوزير القائد أبي الحسن علي بن منصور كما قال في الاستقصاء	من بعد أهل قبا وأهل كداء
شوقي يزيد وعز ذاك عزائي	ولي الشفاء بقربهم وهم جلا
ما في الخواطر من صدى و صداء	يا أيها الملك الذي بسيوفه
حاط الهدى و برأيه الوضوء	نخر الإلاه لك الفتوح وصانها
كالزهر في الأكماء والأوعاء	لا بد من فتح يروكك واضح
كالصبح يدرأ في نحور عدا	وستملك الحرم الشريف وينتمي
للوائك المنصور دون مراء	وترى الجهات وقد أنت منقادة
بظبي بنيك السادة النجباء. <sup>73</sup>	





سنة 596، فدار بعسكره إلى جهة قرطاجة، والتقى بجيش الوالي الذي هزم، واندفعت جيوش ابن عبد الكريم تسلب وتنهب، ثم حدثته نفسه بحصار قابيس وكان على رأسها يحيى بن إسحاق الميورقي، وارتحل إلى قفصة ولكنه هزم في وقعة بينه وبين الميورقي وولى هاربا إلى أن دخل المهدية ثم التحق به من سلم من جنده فتحصنوا بها، إلا أن يحيى لحق به وحاصره بها أول سنة 597، وكان من دهاء الميورقي أن بعث للوالي يسأله السلم ويطلب منه الإعانة بقطع من البحر يتمكن بها من غريمه فاجابه إلى ذلك وحاول ابن عبد الكريم وقد أدرك خطئه أن يصلح ما بينه وبين يحيى بواسطة ولده عبد الله وأظهر يحيى أنه موافق ولكنه حينما تمكن من الأب والولد سجنهما، وبعد أيام أخرج الأب من السجن ميتا لا أثر به فسلم إلى أهله فدفنوه، وبقي ابنه يتوقع الموت كل حين إلى أن أخرجه يحيى مظهرا نفيه إلى جزيرة ميورقة، فلما كان أرباب السفينة بمقربة من قسطنطينة القوه بقيده في البحر (الحلل السندسية في الأخبار التونسية طبعة تونس سنة 1287)

ويعلق الكانوني قائلا وهكذا انتهت محاولة ابن عبد الكريم التي كانت برقا خلبا، ويظهر من أمره أنه لم يكن معه رأي سديد فإن قياما إبان قوة الدولة الموحدية من خطر الرأي أي لا يستقيم له أمر مع قوتها، ثم إنه أسرع بإيقاد نار الحرب قبل توطيد أمره واطمئنان الناس إليه وهذا حق وصواب من كل وجهة.

## رجراجة والعلويون.

لا نجد ملكا من ملوك المغرب كان له مع رجراجة ما كان للمولى إسماعيل من اخذ ورد، وشهد وجذب ومنح وتكريم وذلك في نظرنا راجع إلى قوة شكيمة الملك المجاهد وإرادته القوية في توحيد البلاد وبسط نفوذ الدولة على الجنوب الذي كان ملينا بالرباطات والزوايا وملينا بالترقب والتوثب رغم أن أخاه المولى الرشيد كان قد أراحه من الدلاء بالاطلس المتوسط ومن الشبانات بمراكش ومن إيليغ بسوس وإلى جموع الرجراجيين الذين كانت فلسفتهم مبنية على " اتركوهم ما تركوكم و على الهدوء والاستقرار ونوع من الإحساس بالذاتية لقاء ما دفن عندهم من صحابة هم حفدة لهم.

ولعل المولى إسماعيل وضع هذا الاعتبار ولا بد أن يضعه من بين اعتبارات أخرى من أجل هذه الناحية لتدخل فيما دخل فيه المغرب دونما إثارة فتنة أو إشهار سلاح أو بعث جندي مع المحافظة على سمعتهم ومكانتهم التي هي دوما بجانب الشرعية والسير مع الجماعة والتمسك بالحديث : اسمعوا وأطيعوا الحديث وهكذا وجدنا عمله معهم يمر في عدة مراحل أساسية

### 1) التحقق من صحبتهم والوقوف على الوجه الصحيح فيها.

"وقد نقل اليفرني عن شيخه الحريشي أن المولى إسماعيل سأل علماء فاس هل صحبة السادات الرجراجيين حق أم لا ، فأجاب شيخ الجماعة سيدي عبد القادر بأن لا صحبة لهم، ولم يدخل أحد من الصحابة للمغرب فترك السلطان ما كان عازما عليه " كما



ان الشيخ الفلسي استنكر ما يقع في مواسمهم من إهدار للطعام ومن اختلاط الرجال بالنساء فأبطل الملك تلك المواسم خمسة أعوام، وفي المقابل تصدى لبحث الصحبة علماء مراکش واثبتوها وإن لم يكن ذلك بصفة قطعية.

وفعلا فإن الفقيه الحسن اليوسي استنكر بدوره بعض الممارسات فكتب في محاضراته :

ورأيت في بلاد المصامدة وخصوصا بلاد رجراجة من هذا كثيرا بقي عندهم موروثة خلفا عن سلف عندما يدورون على صلحانهم زائرين و لما حضرت معهم في الدور في هذه السفرة التي بدأت فيها هذه الاوراق وذلك سنة خمس وتسعين والـف ، لم اوافقهم في فعل كثير مما يفعلون من ذلك ، مخافة ان يتخذني العوام حجة فيتغالون في ذلك ، ومع ذلك لم أخل نفسي من التبرك بامور قريبة لا بأس بها<sup>97</sup> فما هذا الذي كانوا يفعلونه ولو بين قليله لكان أفيد على الأقل .. ثم إن ما كانوا يفعلونه لم يكن متعلقا بالدين ولا بطقوسه والا ما كان لليوسي العالم الحجة ان يسكت ويرضى .

ثم أيضا هل كان من الممكن ان يبقى موسم لعدة أسابيع كل سنة ولمدة ألف سنة وزيادة وهو نقي طاهر لا خدش فيه ولا لوتة ولو بكثرة الطعام واهراق ما فضل منه ، وباختلاط النساء بالرجال إن كان ذلك قد فشا فشوا يستحق فتوى من شيخ علماء فاس مع انه لم يزر رجراجة ولا مواسمهم وإنما سمع وليس من رأى كمن سمع .  
والذي يمكن التعويل عليه- وإن كنا لا ننفي ما رآه الفقيه اليوسي- ان الموقف الإسماعيلي من مواسم رجراجة كان لغاية سياسية ، وحينما تتدخل السياسة تكون كل الطرق مشرعة وسالكة، إذ من الصعب جدا ان يطلق الحبل على الغارب لقبائل مسندة بأخرى تحتفل قرابة ستة أسابيع متتالية دون ان يكون ذلك هاجسا للحاكم اليقظ و الدولة في طور النشوء

## ( 2 ) إقامة سبعة رجال آخرين للزيارة.

ورقم سبعة رجال رقم معروف ومألوف في كل الظواهر الكونية وحتى الحياة البشرية وبالمغرب كثير من المزارات لسبعة رجال أشهرها رجال رجراجة و مراکش. ولا يهمننا البحث و التقصي عن هؤلاء السادة وتراجمهم وأعمالهم وأقوالهم بقدر ما يهمننا السبب الذي جعل المولى إسماعيل يأمر باتخاذ الرجال السبعة بمراكش مزارات، ولماذا مراکش وليس أسفي مثلا ورباط الشيخ أبي محمد صالح بها كالشمس في رابعة النهار ؟

وهناك من ينفي الأمر عن مولاي إسماعيل ويرده إلى العهد السعودي بعد الهزيمة التي تكبدها محمد ابن الشيخ بن زيدان كما أشرنا فعين الرجال السبعة وزارهم الملك ونظم فيهم الشعر من يستطيع:

معنى هذا أن الشياظمة و الشياظمة هي رجراجة كانوا في حرب مع الدولة و هذا الأمر يرشحه ليهتم به المولى إسماعيل لأسباب:

- أن هذا الموقف من الشياظمة استمر فكان لا بد من حده بطرق متعددة منها خلق زيارة سبعة رجال بمراكش كبديل.

- أن تعلق الناس برجال مراكش يجب أن يتحقق لأن رجـراجـة كانوا معروفين في الجنوب ولهم رتبـتهم ومريدوهم ومناصروهم، وليس من السهل مناواتهم بآخرين ما لم تكن هناك قوة إما عن طريق الخوف والتخويف، وإما عن طريق القدوة، وإما عن طريق التقرب وإما عن طريق العطاء وإما عن هذه الطرق كلها، وهذه أشياء يعجز عنها كلية الشيخ السعدي ونظامه المتلاشي.

وعمليا لم تكن هناك بلدة تنافس مراكش في هذا لما فيها من إمكانيات مادية ومعنوية وحضارية وعلمية ولأنها العاصمة التي تهفو لها الأنظار وإن نافستها مكناس ساعتئذ وهي بعيدة من رجـراجـة شان فاس.

أما أسفي فلم يكن ذلك متاتيا على الأقل لسببين :

أ- إنها تجاوز المنطقة ورتناتة وهي زاوية رجـراجـية إحدى ضواحيها هذا إذا تحدثنا بمقياس التقلص الذي أصاب بلاد رجـراجـة وإلا فأسفي بدورها رجـراجـية .

ب- إننا إذا عدونا الشيخ أبا محمد صالح وجدنا الأغلبية من صالحـي أسفي رجـراجـيين ولا نجد سببا وجيها يقنعنا باختيار الفقيه اليوسي أولئك السادة من بين عشرات الشخصيات المدفونة بمراكش رغم أن هناك من هو أكثر علما-على الأقل-من بعض المختارين دون نية التنقص من رتبة أحد، فرجل كسيدي أحمد بن العريف وأبي عمرو القسطلـي ويعقوب المنصور الموحي وابن البناء العددي وأبي الحكم عبد السلام المشهور بابن برجان، ومحمد ياسين الرجـراجـي المراكشي وغيرهم كان الواجب أن لا يتخطاهم اختيار.

وحتى اختيار الفقيه اليوسي من المولى إسماعيل لهذه المهمة يحتاج إلى وقفة متأنية .

- إن الفقيه زار رجـراجـة عام 1095هـ حسب ما كتبه هو نفسه وحضر مواسمهم و طاف معهم وكان ساعتها مبعدا إلى مراكش إثر ثورة أحمد بن عبد الله الدلاني، بعد أن سبق لمولى رشيد أن قضى نهائيا على الزاوية الدلانية وكان اليوسي تعلم بها واستفاد ودرس ومدح علماءها ورثاها في الأخير.

-إن اليوسي كان معظما لرجـراجـة يتوسل برجالهم وكان كثيرا ما ينشد كلما حل بمرحلة.

ارجـراجـة الانساب أملت رحلكم  
وأنزلت رحلي في حمى عرصاتكم  
و فضلكم المشهور في البدو والقرى  
ولا بد للضيف النزيل من القرى  
بل إنه صرح بصحبـتهم في توسله المشهور.

توسلت للرحمان في كل حاجة  
بسادتنا الأخير صاحب نبينا  
أريد قضاها عاجلا غير أجل  
تلاقوا معه في أصح الأقاويل<sup>80</sup>

- إن المولى إسماعيل تولى الملك سنة 1082هـ وأن من ثار عليه في نفس السنة بالسوس ابن أخيه أحمد بن محرز الذي امتدت ثورته مع خفوت نسبيا إلى 1088هـ و

عانت منها الدولة كثيرا و نجمت في سوس القريب نوعا من بلاد رجراجة، فهل كان بعض الرجراجيين من المشاركين فيها و تحقق ذلك عند السلطان؟ أم ان السلطان كان يأخذ احتياطاته فقط؟

- لا نعرف السنة التي امر فيها المولى إسماعيل بإحداث سبعة رجال المراكشيين، ولو عرفنا لكفيينا الكثير، فلن المسافة الزمنية بين مبايعة السلطان إسماعيل ووفود اليوسي على رجراجة ثلاث عشرة سنة، وهي كافية نوعا ما لإحداث أوضاع جديدة في المنطقة و ترتيب الناحية وفق أليات أخرى لو اتجهت إليها السلطان من أول وهلة الشيء الذي يفسر بان رجال مراكش السبعة تأخر أمرهم إلى ما بعد هذا التاريخ وإلا فلن الفقيه اليوسي إن تحقق ذلك سيكون مناقضا نفسه بعد ما قلناه فيهم وفعله ببلادهم.

- إذا تأخر الأمر إلى ما بعد سنة 1095 هـ، ولم يبق سوى سبع سنوات على وفاة اليوسي، فهل كان ذلك ممكنا لمشاغل الملك ولانشغاله بحرب أخوته وأبناء أخوته وحتى أولاده وآخرين .

ممكن جدا و لكن وحتى إذا تم ذلك، فإن النتيجة المتوخاة من أجل اختيار سبعة رجال مراكشيين ذوي أصول عربية كسد منيع أمام الآخرين الأمازيغ حسب استنتاجات نوكلستري كما أكد الأستاذ الدكتور حسن جلاب لم يتحقق، لأن من اختارهم اليوسي إن فعل -منهم من أصوله بربرية.. هذا إذا تجاوزنا الأصل البربري لليوسي نفسه. وإذن فإن شكا كبيرا يحوم حول المهمة وهي الزيارة وإقامتها واختيار اعلامها. وقد القى الفقيه اليوسي عدة دروس في أكثر من دور: "وقد حدث في ذلك بصحبته" - في ضريح سيدي أبي زرقطون أمام سبعمئة من الطلبة وفيهم من العلماء خمسا، منهم سيدي الحسن المنكور ومنهم سيدي علي بن عبد الله الحاج ومنهم سيدي أحمد بن عباد، ومنهم سيدي سعيد بن محمد من أولاد سيدي سعيد بن عبد النعيم ومنهم سيد آخر لا أعرفه فلعذر للنقل لا يضل ربي ولا ينسى"

هذا الكلام بعد ما نقله الفقيه المختار السوسي بعد تغيير في بعض الأسماء علق عليه قائلا : " أما كون اليوسي و سعيد بن عبد النعيم ممن تلاقوا في دور رجراجة فلكنوبة فاين اليوسي المتوفي سنة 1102 هـ من الآخر المتوفي في أواسط القرن العاشر<sup>2</sup> فقد وهم الفقيه السوسي حينما اعتقد ان الأمر يتعلق بسعيد بن عبد النعيم الحاحي المعروف ، وإنما الأمر يتعلق بسعيد بن محمد من أولاد سيدي سعيد بن عبد النعيم السعيد الرجراجي ، كما في الشجرة السعيدية مع بعض الاختلاف مرده غالبا إلى الناقل و إلا فلا تفكير أبدا في حضور سعيد الحاحي بجانب الفقيه اليوسي لبعد المسافة الزمانية و إن لم تكن كبيرة جدا ، وان الحاحي له مشاغل أخرى غير الحضور للدور الرجراجي.

فهل كسرت شوكة السبعة المراكشيين شوكة الرجراجيين و أغمطت قدرهم و دمرت ذكرهم و أنستهم في العالمين؟

الجواب منفي طبعا و إن كان كثير من الناس بمراكش و نواحيها تأثروا بالصلحاء

المدفونين بها واستمر ذلك زمنا غير قصير فغالوا و تغالوا و ارتكبوا ما أوجب نكير السلطان المولى سليمان في رسالته المهمة المعروفة : " فعلينا ان تقتدي بسبعة رجال و لا نتخذهم آلهة لنلا يحول الحال فيهم إلى ماء ال إليه في يغوث و يعوق و نسر: " ولم يقل مثل هذا أبدا في الرجراجين منذ عشرات القرون.

### ( 3 ) زهاب الصوفي الشيخ محمد بن حميدة لمكناس واتصاله بالمولى إسماعيل

وقد أحيى هذا الرجل المدد الرجراجي بعد ما اندرس و كان اتصاله بالسلطان فاتحة خير اذ قدمه على كل الرجراجيين بظهير جدد في عهد ولده مولاي عبد المالك و فيه: " وقد جددنا على زاوية السادات رقراقة اينما كانوا و أبقيناهم على ما أبقلهم عليه والدنا رحمة الله عليه من التوقير والاحترام، وقد حملناهم على كامل المبرة، ولاحظناهم بعين الرضا و المودة ، فلا سبيل لاحد عليهم بشيء من الاشياء و لا بأمر من الامور جل أو قل، ورفعنا عنهم يد كل جائر أو غادر أو ظالم ، و أخرجناهم من زمرة الاعوام فلا يلزمهم ما يلزمهم ، و لا ينوبهم ما ينوبهم لانهم منا والينا ، ومن أهل محبتنا ومودتنا وشيعتنا لدينهم و صلاحهم، فمن قربهم أو طلف بساحتهم وخرق عليهم عادة، فالله حسيبه وسانله (محو من أجل الطي ) عشرين من ذي القعدة عام تسعة و ثلاثين ومائة و ألف <sup>83</sup>

و هذا تقدير ما عليه من مزيد:

وقد دام التقديم بزاوية الشيخ المذكور ( بن حميدة ) و في حفدته من ذلك التاريخ للآن ووصل عددهم احد عشر مقدما ثمانية منهم بظهانر ملوكية<sup>84</sup>

### ( 4 ) إرجاع الدور و تكريم الصحابة

و لا بد ان هذا الإرجاع كان نتيجة لزيارة الصوفي السابق الذكر إلى مكناسة لان السلطان اقتنع بصحبة الرجال السبعة و بسلامة هوية أحفادهم ، فانفتح عليهم انفتاحا كان فيه تقدير كبير و مراعاة مشكورة، بل بلغ الانفتاح ذروته حتى كتب الفقيهان السيدان حسن بن رحال محشي ميارة على التحفة وللشيخ محمد البوعناني وهما من هيئة التدريس بالقرويين، و علماء آخرون من فاس ، للفقيه السيد عبد الله بن أحمد القرمودي الرجراجي حينما تخاصم مرابطو الزاوية القرمودية على القبور داخل القبة هل تبسط و تطمس أو تبقى على حالها: " إن ما تشاجر عليه مرابطوكم أمور تافهة ، وسيدنا أعزه الله ، مولانا إسماعيل له شغف بطائفتكم "

فهل هذه الإشارة من عندية الفقهاء لا غير؟

و إذ يقول العلماء بفاس بشغف الطائفة" من المولى إسماعيل فذلك له مدلول

عظيم.

و أيادي السلطان في هذا الباب لا تجارى، فكم من ظهانر ميز بها الزوايا الرجراجية، وكم من أملاك حبس على بعض الصحابة فكانت رفدا و توسعة وخيرا على تلك الزوايا خاصة زاويتي سيدي سعيد السابق وسيدي واسمين.



## تقلص نفوذ الزوايا:

نظرا لممارسات كثيرة و مواقف معروفة من اهل الزوايا ، كان لا بد ان ينظر إليها نظرة شك وترقب الشيء الذي يفرض سؤالا مهما: هل تقلص دور الزوايا الجهادي الدفاعي بالسلاح على عهد العلويين؟ و الجواب سيكون إيجابيا انطلاقا من معطيات عديدة:

- 1- أن المدن تحررت و لم تبقى للأجنبي سيطرة إلا على القليل، إذ وضعت الدولة أمر تحريرها على رأس الأولويات
  - 2- أن الجيش النظامي بعد تكوينه و تجديده كان قادرا على إخماد نار الفتنة و ذلك بعد جهود ضخمة حتى ضمنت سلامة الوطن و المواطنين.
  - 3- أن الناس بدأوا يدركون قيمة الاستقرار وأن المغامرين لم تعد لهم سوق نافقة إلا في حدود، حقيقة كان هناك فتاتون خاصة في العهود المتأخرة حينما بدأت يد الاستعمار تفعل فعلها ولكنهم ردوا على أعقابهم مندحرين.
  - 4- أن المولى إسماعيل سحب أسلحة و خيول القبائل فكان موفقا دعك مما قيل في هذه العملية ومما لوحظ عليها من أناس لم يكونوا يعيشون الظرف ولا وطاته.
- أما بالنسبة لرجاجة فلن دورهم تبلور أكثر في عهد هذه الدولة من خلال:
- أ- أصبح لرجاجة مقدم واحد مسؤول أمام الدوائر العليا، يتكلم باسمهم و تصدر المكاتبات الرسمية عن طريقه أو بواسطة العامل دون إخلال بحرية كل مقدم في زاويته.
  - ب- أصبح هذا المقدم يعين بظهير شريف فلم يعد هناك مطمع لطامع.
  - ج- محافظة الرجاجيين على الشرعية و احترام الجالس على العرش .
  - د- حدت الظواهر الملوكية من سلطة المتولين فلم يبق استبداد و لاتسلط يقضيان المضاجع و يسفكان الدماء ويعكران الصفو، و إن حصل فإن الدوائر العليا سرعان ما تلجم غرور العامل وتحد من غلوانه وتوقف سلطته عند حدها، و في زوايا رجاجة كثير من الظواهر المختلفة في هذا الشأن حيث كان العمال يكونون عداا ظاهرا لها نظرا لمكانة أصحابها و حظوتهم عند السلاطين .

## قنوات أخرى:

وهناك قنوات أخرى كانت الدولة تعتمد عليها، وحتى دونما شعور من المستهدفين لتمرر سياستها و لتوصل للناس ما تريد إيصاله من غير جلب بالرجل والخيل وحتى بالسلاح، وهذه القنوات هي :

-المقدمون.

-العلماء و المتصوفون.

-القضاة.

-رجال السلطة.

ولكل منهم دور يؤديه أو يجتمعون كلهم إذا دعا لذلك داع، و لنقل كلمة عن كل

قناة.

### -المقدمون:

لعب المقدمون في الزوايا الرجراجية دورا مهما و كبيرا جدا سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية أو المخزنية، فالمقدم كان يتمتع وسط محيطه باحترام مطلق تسمع كلمته، وتتبع توجيهاته، ويقدر رأيه، وتخاف سلطته لأنه حصل على مركزه عن طريق الاختيار الحر و التعامل النزيه ويتدخل كذلك مركزه السني و العلمي و قد يكون المالي.

إن علاقاته مع كل الأوساط و تمسكه بالحق و الذب عنه و السير وفق مقتضيات الشرع و الدين والمصالح كانت تعين المقدم في تادية واجبه أحسن تادية، هذا على المستوى المركزي لكل زاوية إما على المستوى العام لجميع الزوايا، فالمقدم تشترط فيه إلى ما سبق - شروط أخرى أهمها الصبر و الكرم والأريحية و التحمل و الاستعداد و حسن التاتي و الجار بالحق و الدفاع عن الرجراجيين اينما كانوا أمام المخزن المركزي و ضد غائلة المتولين المحليين الذين كان طغيانهم طافحا.

اضف إلى هذا فعمل المقدم كان عملا سياسيا إلى حد ما ، فالمقدم بكل ما له من وجاهة و مكانة في القبيلة و بكل ما أضفاه عليه مركزه من هيبة و نفاذ أمر و كلمة كان له التأثير المباشر في سياسة الناحية والوقوف بجانب الشرعية و العمل على تركيزها و حفظها و صيانتها، و إخماد نار الفتنة و متزعميها خاصة إذا كانت للمقدم شخصية قوية، و في بعض الأحيان كانت تسند إليه وظيفة الشياخة

### نموذج لمقدم سياسي:

هذا المقدم هو الطاهر بن محمد ضما بن محمد فتاح بن حميدة بزاوية بن حميدة. كان المقدم في المستوى اللانق تدينا و تصوفا و غنى و علما و خيارة حافظا لكتاب الله خائفا من ربه، قوالا بالحق ، مجاهدا في سبيل العدالة و الشرعية لا يخاف الحاكم و لا يرهـب سلطته و لا تاخذـه في الله لومة لانـم.

وكانت سمعته كمقدم لرجراجة و كإنسان غني قد أهله ليحرز ثقة القبائل الشيظمية و يتقدم صفوفها وكان له موقف هام في المحنة التي ابتلى بها المغرب غـب وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله حيث تنازع أبناؤه الملك و أصبح في كل ناحية من المغرب ملك و سلطان ووزراء و جنود و رعايا و خدام.

وكان الحوز من نصيب المولى هشام بن محمد الذي ءازرته القبائل من دكالة ورحامنة و عبدة و شياظمة، وكان الرجراجيون طبعاً في الطليعة، و كان للقائد العبدى عبد الرحمان بن ناصر الجرמוنى كبقية قواد الناحية دور كبير في هذا المجال، و لكنه بدأ يتآمر لإخراج البيعة إلى المولى الحسين بن محمد الشيء الذي عارضه المقدم الطاهر و وقعت حروب بين القبيلتين العبدية و الشيظمية من جراء ذلك: والسيد عبد الرحمان بن ناصر مع الحاج محمد بن العروصي راجعا أنصارهما و أرادا نصر مولاي الحسين بن محمد أخ المولى هشام، و قد تبين للمولى هشام أن عبد الرحمان بن ناصر إن سمع خبر مولاي سليمان قادما للحوز يكون أي بن ناصر- تحت طاعة المولى هشام والا فالتمرد و الفوضى.

وأخيرا رفض الجد الطاهر خلع البيعة الهاشمية ومد الولاء لمولاي حسين فادى الحال إلى المصادمة والحرب، وجاء عبد الرحمان للزاوية (ابن حميدة) وهدمها، غير أن الشياظمة تالبوا عليه وهزموه هزيمة شنعاء، فتلب إلى الله وبنى الزاوية كلها، وحلف المقدم حتى يهدمها، فعلا هدمها إلا الباب منعه منه رجراجة ليبقى اثرا وتذكرة وهامو ما يزال موجودا بمصاريعه من زمانه هذا رحم الله الجميع<sup>86</sup>

وقد قدر المولى هشام هذا الموقف حق قدره وعرف لرجراجة مكانتهم، على رأسهم مقدمهم الذي بعث له بهذا الظهير ونصه بعد الحمدلة والتصلية:

المرباط السيد الطاهر وكافة مرابطي رجراجة، أعانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: أعلموا أنكم خدامنا وأهل محبتنا من حياة الوالد رحمه الله ونامرکم أن تقدموا لحضرتنا العالية بالله مع خدامنا الشياظمة وعلى هذا عملكم، والسلام في 16 رجب 1206 هـ.

وحيثما انجلت الغمرة وصلحت الأحوال باستتلب الأمن والأمان وترجع على العرش المولى سليمان وصالح اخوته، كان المقدم ومن خلاله كل الرجراجيين في طليعة من أيد الملك العابد الزاهد الصوفي الذي كانت له مواقف جلييلة مع رجراجة وظهائره في ذلك مختلفة المواضع والغايات ومن جملتها هذا الذي بعثه للمقدم وقد وقعت حرب بين الشياظمة وحاحا ولم يتدخل فيها الرجراجيون، يطلب إليه وإليهم التوسط لإصلاح ذات البين بين القبيلتين، وجاء فيه: الطائفة الركراكية أعانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، يصلكم أمرنا هذا، نامركم أن تقفوا موقف الجد و الحزم حتى تسعوا في الصلح الذي سماه الله خيرا بين قبيلتكم الشياظمة و قبيلة أهل حاحا حتى نجدكم إن شاء الله أنتم وهم ذاتا واحدة وكلمة واحدة، ونفعل الخير مع الجميع، إذ قبيلة الشياظمة و قبيلة حاحا جيران، فلا ينبغي لهم التناحر بينهم، وكان صلى الله عليه وسلم يوصي على الجار حتى ظن أن الجار يورث الجار، وذلك الثغر الصوري السعيد أسسه والدنا رحمه الله وبرد ضريحه في الجنة، وجعله معظم ومحترم، فيجب على كل مسلم أن يسعى في طلب الخير إليه، وأنتم الطائفة أولى من يقوم بذلك حتى تكونوا مع إخوانكم أهل حاحا كما كنتم في أيام والدنا قدس الله روحه، وها وصيفنا ابن عبد الصادق يخبرنا بوقوفكم وما فعلتم والله يعينكم والسلام في 12 ج الأولى عام 1209، وتوفي هذا المقدم سنة 1214 هـ.

و لست أدري ما هي الأسباب التي دفعت الرجراجيين للوقوف على الحياد في قضية هامة كهذه إلا أن يكون الأمر.

- لا يستحق الأخذ والرد وقد تكون وراءه أسباب واهية كهذه الاحتكاكات التي تقع دائما بين الجيران خاصة وأن الصويرة منطقة يمكن أن تكون سببا لذلك وهي عاصمة لكليهما.

- أن الحق مع أهل حاحا فكانت المروءة و الأخوة الإسلامية تقتضي عدم التماهي في الاعتداء

- إن الرجراجيين بذلوا فعلا جهودا لوقف النزيف ولكنها لم ترق إلى ما يريده السلطان فبعث ظهيره السالف.

## - العلماء و المتصوفون:

كانت هذه القناة مهمة جدا في راب الصدع بين المخزن سواء في سلطته العليا أو نوابه بالناحية، وبين الناس وذلك لما كان للعلماء والمتصوفة من اقتدار وسمعة عند المواطنين وكثيرا ما كان المتصوف عالما و العكس صحيح إلا في النادر مما جعل عملية التسوية و الواسطية تحقق مبتغاها لأنها صادرة فوق ما ذكر عن عقل متفتح متنور وصدر سليم.

وكان العلماء خاصة المتصدرين منهم - غير مجهولين لدى الدوائر المخزنية العليا إذ هناك مائة طريقة و طريقة لمعرفتهم و كشف أرائهم و الوقوف على نواياهم ، إذ كثير منهم درسوا بفاس أو مراكش و مجال العلم دائم مفتوح لمعرفة من يتعاطاه، وكثير منهم صاحب فتوى و درس يقصد من أماكن بعيدة للتثقيف عليه و الاغتراف من ينابيعه و الوقوف على ما نص الله من أحكام في قضية من القضايا يجبه بها الخصم وتربح الدعوى، وكثير منهم كان متبتلا خاشعا يتجمع حوله المريدون و الاتباع... ثم هناك المتولون من الصغير إلى الكبير يحرصون على أن يوصلوا كل شيء و يطلعون من يهمهم الأمر على المستجدات بغية الزلفى و القربى أو الانتقام و الإذابة... إلا أن السلاطين لم يكونوا يأخذون بنظرية المتولي في حق العالم أو المتصوف لإدراكهم أن العلماء و رجال السلطة قلما يتوافقون وقلما يكون الود بينهم صافيا رقيقا.

هذه المكانة التي للعلماء وهذه الثقة التي وضعت فيهم جعلت الناس يتحلقون حولهم وينفذون أمرهم و يقبلون استشارتهم و يسارعون فيما به يأمرون، ولم يكونوا يأمرون إلا بما يرونه صالحا نافعا..

ولو تتبعنا مواقف السلاطين و الوزراء و غيرهم من العلماء و المتصوفين، ولو أردنا أن نحصي ظواهرهم و رسائلهم إليهم و تحبيساتهم من الكتب عليهم لطلال بنا الأمر ، ولكننا نأخذ فقرة من ظهير لمولاي عبد الرحمان بن هشام للفقير الشيخ عبد الله السكياطي حينما نقضت زارة و الشبانات البيعة: " فانشدك الله هل لحق زارة و الشبانات ما يوجب نقضهم و شق العصا و مفارقة الجماعة في مرضاة من عصا ، التي من فارقتها قيد شبر ملت ميتة جاهلية ، فلين هم من قوله تعالى: " يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم و قوله صلى الله عليه و سلم "أسمعوا و أطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة" وقد بايعونا بيعة شرعية و أعطوا عليها أيمانهم في المنشط و المكروه، فما وجه نقضهم و قطعهم السبيل و إيتائهم في ناديم المنكر... إلى أن يقول: " فتعين على جميع المسلمين قتالهم كما لا يخفاكم، وعليه فيتعين على أمثالكم أن تعرفوا العامة حقيقة ما سردناه من الآي و حديث خير الأنام و تبذلوا في مرضاة الله و سعةكم، و تتوجهوا إلى هذا المهم بأنفسكم، وقد أعفيناك أنت في خاصة نفسك إذ من قام على عذر كمن راح اندب للتوجه مع القبيلة الشيعية إخوانكم المرابطين بركة في وسطهم و إحياء لسنة أسلافهم ، فقد جاهدوا في الله حق جهاده بأنفسهم و أموالهم، و سابعوا إلى جنة عرضها كعرض السماء و الأرض، و أدوا من ذلك الحق المفترض فحازوا فخرا فياله من فخار و أرغموا بعزهم أنف كل جبار ممار، وهذه سنتة صلى الله عليه و سلم فقد باشر الغزو بنفسه مرات و قال: " وددت لو أقتل في



سبيل الله ثم أحياء ثم أقتل لما أراه الله في ذلك من الحسنات وعلو الدرجات، ونعهد إليك تخبر جميع القبيلة الشيعية، فإننا أبحنأ لهم أكل أموال المفسدين ذا وبلال، وأمرناهم بالقبض عليهم وإيصالهم لسجن الصويرة الخ.. وكتب في صفر 26 صفر 1244 هـ .  
وليس فوق هذه المهمة من مهمة يكلف بها عالم .

#### - القضاة:

والقناة الثالثة هي قناة القضاة، ومركز هم العلمي و الديني لا يبيع لهم ما أبيع للعلماء والمتصوفين لأنهم مصدر أحكام و منفذوها، وقد يكون الأمر حساسا إلى أبعد حد فيتسبب القاضي بموقفه في مشاكل قد يراها عادية سهلة على النطاق المحلي ولكنها من جهة أخرى تحدث أخذا وردا وربما حتى انتقاما بهجوم سلاحي أو اقتصادي أو تأمري دولي، خاصة بعد أن اشرايت أعناق الأوروبيين إلى المغرب وبدءوا يعتبرون أن الاضطراب منهم من كان سباقا للانقضاض عليه.

ولو تتبعنا مثلا قضية الحبس الرجراجى بالصويرة حيث باعه أحد القواد إلى تاجر إنجليزي، فقام الرجراجيون مطالبين بحبسهم فتدخل القاضي الحاج علي بن عبد الصادق الرجراجى الصويري وقام بالواجب الشرعي حيث أنصف المعتدى عليهم لكن التاجر الإنجليزي تشبث بما رآه حقا و تدخلت دولته فاضطر السلطان لعمل حل كان في صالح الجميع " ، لظهر لنا ما رمزنا إليه.

وكان من القضية من هو حديدي المواقف لا يتزعزع عن الحق ولو كان ما كان ومنهم من هو ثائر ضد الاستعمار لا يابه بسلطته ولا يتقيد بقيوده كالفقيه القاضي محمد بن علال بن عبدان الكراتي الذي خاصم الحاكم الفرنسي بالصويرة في قضية شرعية فقال له الحاكم: اخرج من محلي ، فاجابه القاضي: المحل محل السلطان لالك " وخرج احتجاجا ولم يرجع للصويرة إلى أن لقي ربه سنة 1363 هـ.

#### - رجال السلطة:

ورجال السلطة مذ كانوا وهم قنوات واسعة وضيقة، صافية وكدرية بين القاعدة الشعبية وبين رأس الهرم إلا أن هؤلاء الرجال منهم من يكون في المستوى مراقبا الله في الناس قبل تلبية رغباته، أخذا بيد ضعيفهم معينا لمحتاجهم مشاركا إياهم ولو ببسمة في أحلك الظروف، نائبا عنهم بالحسنى أمام من أقامه في منصبه، ساهرا على حقوق الدولة وءاخذا واجباتها دونما تعسف أو ظلم أو تعصب أو ادعاء ومعاقبة ومنهم من لا تمثل عنده كل هاته شيئا فهو رجل السلطة والسلطة سيف وهو سيف ومن وضعته الأقدار تحت نظره فعليه أن يكون حمار رحي يسير و العين مغمضة، يدور ويدور كما يدور خدروف الصغير حتى إذا كل ومل و عبي سقط لا هتا ليستبدل بآخر ولا حق له في طلب الراحة بل لا حق له حتى في التساؤل لم مللت وعييت؟ وكثيرا من هذه النماذج مرت في التاريخ الإنساني ولم يكن التاريخ المغربي بيضة ديك فينجو منها، ولم يكن التاريخ الحديث بدوره خلوا من تعسفاتها، فما أكثر النماذج السيئة التي لم

تفعل خيرا ولم تعمل على أن ينتشر بين الناس فعاشت معها أزمته الداخلية و الخارجية، النفسية والأخلاقية الورثة والموروثة إلى أن لفظتها الحياة، و تجاوزتها الأحداث ، وبقيت على الهامش لا اثر ولا ذكر..

و منطقة رجـراجة وزواياها بالخصوص كثيرا ما عاشت أياما سعيدة بيضاء يجملها عدل العامل ونبل أخلاقه وكرم محتده ووقوفه عندما حد له مطبقا الأوامر مدخلا عليها نكهته إذا دعت الظروف و طالبا من المخزن إرجاء ما يرى أن الناس لا قدرة لهم على تحمله و لا على أدائه، ولكنها في نفس الآن عاشت أياما أخرى كنيبة بنيسة لا طعم لها ولا مذاق متمنية موت العامل ولو بالثورة عليه وقتله وتخريب داره والانتقام لكرامتها وأمنها وآمالها.

وكانت زوايا رجـراجة في الغالب معرضة لهذا الفعل الشذوذ من العمال خاصة بعد عبد الرحمان بن ناصر كانما ينتقمون لزميلهم الذي ذاق هزيمة منكرة كما سبق. ولا يخفي أن للسياسة دروبا و شعبا بعضها فيه ضوء ينفذ منه من الجهة الأخرى فتستقيم الرؤيا ولو فيها بعض التعتيم و اللا توازن ، و بعضها ذو ظلام دامس ووجه عابس ، و منطق دارس، وكلا يلبس.

وقد تكون الحاجة فعلا داعية إلى نوع من الصرامة جراء:

-أوامر من السلطات العليا بغية تقليص الأظافر.

-أو ابتغاء اقتضاء حقوق للدولة ترتبت على الناس و طال أمد تسديدها فيخشي

التراخي .

-أو شعور العامل بأن خطرا ما يتهدد الناس و الناحية فلا بد من الانتباه وإظهار

العين الحمراء وارتكـب بعض الشطط.

أوعلاقات الناس ببعضهم البعض حيث لم يعد الود قاسمها المشترك و،الأمان بينهم متطلبا ومعضودا عليه بالنواجذ، وقد تكون أخرى ، ولكن ما القول إذا كان أولئك المفروض فيهم الحماية والتواصل هم المساهمين في اللا تواصل رغم النداءات المتكررة من مختلف الملوك بعدم التحامل على رجـراجة ورغم النهي والزجر والظواهر حيث كان ملوكنا يعرفون أن المتولين ينقمون على الزوايا منزلتها عند العواهل فكانوا يهتبلون الفرص للإيقاع بها وبمتساكنيها ، بل إن بعض أعمالهم كانت تعد مأسى حقيقية كملسة زاوية بن حميدة على يد بوجمعة التلاوي الذي أخلى الزاوية خمس سنين

وكماساة زاوية واسمين حينما أدى الصراع بين القواد إلى أن ينزع القائد الحاج

لحسن خبان الظهائر من مقدمها و يولي مكانه آخر ليلجنه إلى مغادرة الزاوية

وكماساة زاوية تالمست حينما هاجمها القائد أحمد الأكريمي ففضح أعراضها

واستصفى أموالها و متاعها و أذاقها العسف و النكال لا لسبب إلا لأن الود بين المقدم

والقائد كان مقطوعا، وقد كانت نتيجة هذه الملسة ظهيرا من الملك الحسن الأول صادرا

سنة 1297هـ يوبخ القائد المذكور، وآخر لامناء القبيلة لنفس الغرض على تحاملهم

على زوايا رجـراجة و تحميلهم من مغارم العامة ما لم يكن لهم به عادة... فإن رجـراجة

من أعظم زوايا غربنا " كما جاء في الظهير.

وكماسة زاوية أكرات حينما تعاونوا عليها و أفقدوها املاكها و صيروها حبسا  
و كماسة المليجيين بشيشاوة والبوعزويين بجمعة اسحيم من قبل الحافظي وآل  
ءايير بعبدة على يد القائد عيسى بن عمر الذي شكاه مقدم رجراجة ساعتها الشيخ  
البشير بن علي للدوائر العليا، و بعد بحث و تقص توصل المقدم بجواب من المولى  
الحسن الاول ملخصه: وحيث طولب بذلك أنكر وعليه بحيث لا بينة تشهد لهم  
فيحلفون و يستحقون ما يدعون به و يغرمه لهم، أو يحلف هو و هم يذهبون لحال  
سبيلهم، و طلبت أن نجعل لهم مقدما فإننا لم نجد لهم عادة بذلك... والسلام<sup>43</sup>  
بل إن بعض الزوايا كانت تنتزع من يد قائد عقباله لتضاف إلى آخر مكافاة كما وقع  
في شأن زاويتي كرات و بن حميدة حينما انتزعتا من القائد أحمد الحاجي و اضيفتا إلى  
خبان في رسالة مؤرخة ب 20 يبرابر سنة 1913-13 ربيع الاول 1331 عدد: 166 هـ  
ونرى أن ذلك راجع بالإضافة إلى موقف القائد الذي كانت جيوشه تحارب الجيوش  
الفرنسية في شيشت إلى كون هوى الزاويتين تململ لفائدة مولاي عبد الحفيظ قبل  
ذلك.

ولقد سبق في إشارة إلى أن المقدم كثيرا ما تسند إليه وظيفة الشياخة، ولعل ذلك  
كان مقصودا لذاته، إذ كان يراد من المقدم نشر الأمن و الطمانينة حيث إن السلطة  
المعنوية إضافة إلى الزمنية كانت مساعدة له على تحقيق هذا الدور، ولم يكن أي قلند-  
مهما علا كعبه- يتوفر على ما يتوفر عليه الشيخ مقدم الزاوية، فقد كان الناس ينظرون  
إلى القائد على أنه مستبد يسفك لغير ذنب و يقتل على الظنة ويهلك الأخضر واليابس  
ويساوي المظلوم بالظالم بينما الشيخ المقدم يغيّره في النهج والسلوك.  
لقد كانت للدولة دائما طرق أخرى: ووسائل أخرى وحيثيات أخرى تتوصل بها إلى  
ما تريد، ولكنها كانت منطلقة من مبدأ الفضيلة الأخلاقية في التعامل، وحينما تصبح  
السياسة مراعية للأخلاق يثام الناس ملء جفونهم، و تلك كانت حياتنا قبل أن تتغير  
الأحوال فانقلبت الموازين و تحطمت السلوكات المعقولة وانهد الجدار.

## هوامش الفصل الرابع

- 43- دار المنصور للطباعة و الوراقة الرباط - 1977 ص: - 70/67 عن الحسين إسكن في تاريخ إقليم  
أسفي ص: 251
- 44- نفس المرجع ص: 211 ترجمة محمد نجيدي.
- 45- المعزى في مناقب الشيخ الولي أبي يعزى للشيخ أحمد بن بلقاسم التادلي الصومعي ص: 231  
مخطوط بخرانتنا.
- 46- الحضارات الإفريقية- مرجع سابق ص: 67.
- 47- تاريخ إقليم أسفي مرجع سابق ص: 252/251
- 48- تاريخ إقليم أسفي مرجع سابق ص: 252/251
- 49- الاستقصا: ج 2 ص: - 99 ط: دار الكتب- الدار البيضاء. 1954، وهذه الأوضاع لم تكن مستقرة  
حتى داخل البيت المالك فلن مؤامرة قام بها (قوم من قرابة ابن تومرت يعرفون بايت ومغار ادت

- الى قتلهم بعد ملطوع من فدى عبد المومن كما في المعجب ص 233 بالطبعة الاولى (1368/1949)
- 50- يذكر المراكشي ان يعقوب المنصور ( حفيد عبد المومن ) انزل بكتب مالك محنة كبرى، فانقطع في ايامه تعليم كتب الفروع وخافه علماء المالكية واحرق كتبهم بعد ان بجردها من حديث وقرآن، وقد احرق منها جملة في سائر البلاد كمدينة سحنون وكتلب ابن يونس ونوادير ابن ابي زيد ومختصره وكتلب التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب ومساير هذه الكتب ونحا نحوها. الدولة الموحدية في عهد عبدالمومن د عبدالله علي علام - دار المعارف مصر سنة 1971-القاهرة.
- 51- ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ج: 8 ص 71 (1403-1983)
- 52- المستفاد بمناقب العباد للتميمي الفاسي- دراسة محمد الشريف، ص: 43 ط- 1 غشت 2002
- 53- التشوف ص 149
- 54- المستفاد ص 46 والتشوف ص 188
- 55- التشوف ص: 304/171 مرجع سابق
- 56- نفسه ص: 319
- 58- المستفاد- دراسة ص 75/76
- 59- حليلة فرحات وحميد التريكي ( كتب المناقب كمادة تاريخية ) ص 57. عن المستفاد ص: 54
- 60- حليلة فرحات وحميد التريكي ( كتب المناقب كمادة تاريخية ) ص 57. عن المستفاد ص: 54
- 61- الياقوتة الوهاجة في مفاخر رجراجة- للكانوني. نسخة خطية لسنة 1937
- 62- الحلل الموشية ص: - 130 ط، - 1 مطبعة التقدم الإسلامية-تونس
- 63- انس الفقير- ترجمة الفقيه المذكور من السيف المسلول
- 64- أسفي وما إليه للفقيه محمد بن احمد العبدى الكانوني / مخطوط عن كتاب الحديقة.
- 65- أسفي وما إليه للفقيه محمد بن احمد العبدى الكانوني / مخطوط عن كتاب الحديقة.
- 66- العدد 62 السنة 5 - ربيع الآخر 1405 / يناير 1985
- 67- العنوان الاصلي: ( الثغور الباسمة في اعيان وقضاة وعلماء رجراجة وعبدية والشياطنة ).
- 68- كان الاستاذ فرناندو ذي اجريدا / مدير المعهد العربي الاسباني بمدريد، قد قام باستفتاء حول الادب المغربي الحديث سنة 1972 متكون من 17 اسؤالا و كنت ضمن من بعث لهم، وقد نشر هذا الاستفتاء د. حسن الوراكلي في كتابه ( نظرات في الادب المغربي الحديث ) ص: 86/88، كما نشر بمجلة المنار المحتوية على اجوبة متعددة بالاسبانية .
- 69- محاولة في تاريخ الزوايا والطرقية بالمغرب لميشوبليير ، ترجمة : ذ الحسين فقاوي مجلة امل عدد - 19/20 ص : 13
- 70- نفس المرجع و الصفحة
- 71- الاستقصاء : ج - 5 ص - 189 دار الكتاب / البليضاء 1954
- 72- الاستقصاء ج : 5 ص : 107
- 73- الاستقصاء ج : 5 ص : 107
- 74- الإعلام بمن حل بمراكش و اغمت من الاعلام / عباس بن إبراهيم ص : 263 و ما بعدها : ج : 4 ط : 1
- 75- حسن جلاب عن العيون المرضية ص - 164 اعمال الملتقى الفكري الاول بمدينة أسفي-حول رجالات رجراجة.
- 76- نفس المصدر و الاستقصا 84/6 دار الكتاب . 1954
- 77- نفس المصدر و الاستقصا 84/6 دار الكتاب . 1954
- 78- درر الحجال ، في مناقب سبعة رجال-دراسة و تحقيق د .حسن جلاب ص : 124/125 ط 1421 هـ / 2000 م المطبعة والوراقة الوطنية زمراكش
- 79- المحاضرات- اعداد: محمد حجي-الرباط / 1396/1976 مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة ذسلسلة الادب ( 1 )
- 80- انظر السيف المسلول
- 81- السيف المسلول ج - 1 مرجع سابق ص 6



- 82- المعسول ج -4 مرجع سابق
- 83- السيف المسلول ج 2 ص: 225
- 84- اما الثلاثة البلقون و إن لم يتقدموا بظهير فلن كلا منهم مثل دوره.
- 85- وما زال رجراجة مكنس يتحدثون بهذا ويتناقلونه كما حدثني به غير واحد.
- 86- لم تبق المصاريع و لا ما يضرعها كما في السيف إذ تسلط من افسد للكل و قضى على جمالية اشياء وبناءات واثار تلبية لنظرة شوفينية قلصرة
- 87- السيف المسلول.
- 88- استطعنا الحصول على هذا الظهير مؤخرًا، و كانت النية ان يوتى به في هذا المختصر لانه فريد في بابه ولكنه طويل ، فاثرتنا الاكتفاء بما بقي علقا بنمن صاحب السيف المسلول و هو لا يخرج عما في الظهير الشريف

## الفصل الخامس

### العلم و الثقافة عند الرجراجيين

#### أ- العلماء

لقد كان لقضية العلم و الفكر و الثقافة بعامة شأن كبير لدى الرجراجيين وإنها لقصة رائعة تروى، وإنها لمفخرة جلية ترددها الالسنه و الاقوال و لامل، و إنها لمسيرة أشاد بها القالي قبل المحب، و يندهش المرء لهذا الحشد من العلماء و المثقفين الذين زخرت بهم كل الزوايا الرجراجية والرباطات، ولهذه الكتب التي الفت في مختلف فروع الثقافة الإسلامية من فقه وأصول وتفسير وفرائض ونحو و بلاغة وكل انواع المعرفة، وذلك راجع إلى:

1- العناية التي كان يحظى بها العلم لدى ارباب الزوايا والى مكانة العالم التي لا تعد لها اية مكانة أخرى سواء من ناحية الثروة أو الشجاعة أو الكرم أو اية فضيلة أخرى، فقد كانوا يرون في العالم المشكلة المضيئة والنبراس الهادي والإمام الذي يقضي والحاكم الذي لا ترد حكومته.

2- احتقار الجهل و البعد عن كل اسبابه حتى إن الذين لم تسعفهم ظروفهم للاعتراف من ينابيع العلم الثرة، كانوا في الغالب حافظين لكتاب الله برسمه وقواعده ومنهم من توفر على حفظ قراءات تجاوزت السبع.

3- الإيمان بحق الجماعة والفرد في أن يتحقق فيما الحديث الشريف: العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة إضافة إلى أن منطقهم كانت غاصة دائما بالقوافل والحركات والدعوات وهذه من ضمن رجالاتها علماء قادرين على التأثير في غيرهم بقوة العلم والفهم.

4- هذا العدد من المدارس العلمية التي أقيمت هنا وهناك ، ففي كل زاوية مدرسة علمية إلى جانب الكتاب القرائي، وكل مجموعة من الدواوير لها فقيها وإمامها، ولو حاولنا تتبع كل المدارس لخرجنا عن المقصود لذلك نعطي نماذج ليس إلا.

أ- مدرسة الزاوية السكياطية وتخرج منها الكثير من العلماء والقضاة والعدول والمدرسين وممن حملوا لواء العلم خفاقا نذكر بالإضافة إلى من سبق: إبراهيم بن محمد السكياطي، سعيد بن إبراهيم الزرايبي، محمد بن عمر بن أبي جماعة.

ب- مدرسة الزاوية القرمودية ولها دورها ورجالاتها و علماؤها منهم: محمد بن علي بن الحسن المتوفى سنة 1012هـ، عبد الله بن حسين المعروف بحوش النخلة وكانت له مكاتبات مع إمام تلمسان الشيخ عبد القادر بن محمد، و إمام أطرار الشيخ محمد بن سعيد، و خصومات علمية توفي عام 1106هـ، عبد الله بن احمد وكان إماما في العلوم العقلية والنقلية وهو الذي مارس الصلح بين القبائل المجاورة لمراكش وبين أهلها، وعبد الله بن حمزة صاحب كتب: الاذكار الممحنة للذنوب بالهيللة والاستغفار

عندنا نسخة مخطوطة.

ح- مدرسة الزاوية السعيدية ، وانجبت انمة أفذاذا تلونت معارفهم العلمية منهم: مسعود بن عبد الرحمان بن المفضل و كان من أهل القرن الخامس الهجري، ولقب بابي البحر لتبحره في العلوم، وعبد الرحمان بن علي بن عبد الجليل وعبد الله بن أبي القاسم الذي يقول عنه أبو الحجاج: إن الفرار من الظالم بن خزار وقع في أيامه.

د- المدرسة البوطريطيشية وهي نفحة من الزاوية السابقة و بها أعلام عديدون منهم: أحمد بن محمد الأبيهي و ناهيك به، وقد أفتى مدة خمسين سنة، وله ثمان إجازات من علماء فاس توفي عام 1346هـ والحسن بن محمد وكان من أصحاب الفتوى بدوره توفي عام 1336هـ، و عبد الله بن الطيب .

هـ - مدرسة الزاوية الكراتية، و قد أعطت الكثير وزينت المفرق الرجراجي بما منحته تربتها من أفاضل العلماء كمحمد بن عبد الله الذي كاتب أولاد الشيخ محمد بن عيسى في أمر ما كانوا يفعلونه من بدع لا تمت إلى الدين بصلة و التي منعها جلاله المرحوم محمد الخامس ، سعيد بن حسن، محمد بن عبدان و له كتاب في العشب و النباتات، وكتاب في التوحيد، توفي بحاجة وهو في مهمة إصلاح بين تلك القبائل ودفن بزاوية أبي البركات وعليه قبة هناك سنة 1260هـ .

و-مدرسة الزاوية البنحميدية، وهي غصن من الزاوية البوطريطيشية السعيدية، و هي كاخواتها نبغ فيها علماء، ودرس بالتشديد بها آخرون وتلقى العلم بها كذلك العديدون.

فمن درسوا بها: الفقهاء التطواني و المصيلحي و مبارك الحميني و أخوه محمد بن إبراهيم، وعبد المالك المتوكي والحسن الحمراوي والعباس بن عبيدة المطاعي وعبد الله بن الطيب .

وممن زارها من الأعلام: الشيخ عبد السلام الناصري صحبة عائلته، والشيخ عبد الحي الكتاني صحبة عائلته مرتين والفقير محمد بن أحمد العيدي الكانوني وغيرهم. ومن أبنائها الشيخ أحمد بن عبد المالك وكان قواما على المدرسة وشؤون الطلبة حتى أنفق عليهم جميع ماله وكتب عدة سلك وبخزانة الوالد مصحف بخطه أنهاه سنة 1200هـ، والأخوان عبد الرحمان والحميد ابنا الطاهر بن علي وكانا عدلين، والأخوان المقدم أحمد بن البشير وأخوه محمد الذي أشرنا إليه أكثر من مرة، عبد الله بن محمد ومؤلفاته عديدة بعضها مطبوع والباقي ينتظر دوره، عبد الحي بن عبد الله المتوفى سنة 1399 هـ/1979م وكان عدلا، محمد بن محمد المقدم المتوفى سنة 2001م، عبد الجليل بن عبد الحميد وكان عدلا، وقل مثل ذلك في الزاوية البوخابية والرتنانية والتالمسية.

وحيثما نلتفت نحو مراكش أو فاس أو المدينة المنورة أو الأندلس أو مكناس أو الرباط أو عبدة أو دكالة أو سوس أو غيرها نجد الرقم يتضخم ، وقد لعبت المدرسة الدكالية المعروفة بمدرسة ابن الشاوي دورا هاما وبارزا في تلك الربوع وبها علماء أفاضل ومدرسون ومؤلفون متمكنون منهم عبد الله بن الجيلاني وعبد الله بن علي وعبد

السلام بن الحساني المدعو سيبويه.

أما في حاحا و سوس فتلك ماثرة أخرى خالدة للفقهاء الرجراجيين حتى أن الفقيه المختار السوسي لم يسعه إلا التنويه بهم في كتابه خلال جزولة في ترجمة الإمام حسن بن طلحة الرجراجي السعيد الواصلي صاحب الشرح على المدونة حيث قال: وقد كان لركراكة سعي مشكور في نشر المعارف في سوس قبل القرن العاشر، و سبب موت الفقيه سقوط كتبه عليه.

و من الاعلام الرجراجيين: عبد الواحد بن الحسين الرجراجي السوسي الذي قال عنه البعقلي: " وقد ملئت خزائن العلماء بتواليه رضي الله عنه ، و علي بن أحمد بن يوسف الرجراجي الرسموكي وله تأليف منها، شرح الفية بن مالك ، شرح الجمل، شرح فرائض ابن ميمون، شرح الكبرى و الصغرى للسوسى، وحقائق في الأعراب، و يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان و اللانحة تطول وتتضخم لو تتبعناها هنا أو هناك، لذلك نكتفي بما كتبناه"<sup>89</sup>

## 2- القضاة:

و كما فعلنا مع العلماء بذكر نماذج فقط نذكر كذلك نماذج من بعض القضاة كالسادة: محمد بن علال الكراتي الذي كان قاضيا على الأحلاف وزواياها وهو الذي قال له أحد الوزراء و كان يرأس لجنة الامتحان: (من حقا أن تكون قاضيا بالحاضرة و لكن لاحول ولا قوة إلا بالله . )

وعبد الله بن بوجمعة بن مسعود السكياطي ، تولى القضاء في أيام مولاي عبد المالك بن إسماعيل العلوي، وعمر بن أبي جماعة السكياطي ، وبو عزة بن الجيلاني الرجراجي المراكشي واخوه القاسم بن الجيلاني المتوفي سنة 1282هـ/1865م ، وابنه عبد القادر بن قاسم ، وعلي بن أحمد القرمودي قاضي مراكش، الموصوف بحجة المستفيدين، موضح الدلائل وكاشف غوامس المسائل توفي عام 1299هـ/1881م .  
و الحاج علي بن عبد الصادق البطريطيشي السعيد و صفه الشيخ عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس بصاعقة العلم وله ترجمة حافلة هناك، وكذلك ابن أخيه عبد الصادق وسعيد بن عمارة الحميني ومحمد بن سليمان العبدى الشهلأوي الواسميني تولى قضاء عبدة وأسفي، وإبراهيم بن محمد الكراتي في أيام السعديين، وأبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان النسب السكتاني النشأة ، ولا نحتاج لذكر بعض النظار والعدول فذلك طويل.

## هوامش الفصل الخامس

89- للتوسع يرجع للسيف المسلول: ج: 2





## الفصل السادس

### بين موسم الرجراجيين و دورهم المرتقب"

مواسم جديرة بالاهتمام :

لا يمكن للإنسان في الواقع إلا ان يندهش حينما يسمع أن مواسم تبقى متصلة الانعقاد لما يقرب من ستة اسابيع، ويتضاعف اندماشه ويكبر حينما يعلم انه لم يتحدث التاريخ ولا الناس عن حوادث قاتلة، أو فتن ماحقة قام بها الرجراجيون ضد انفسهم أو ضد غيرهم منذ عرف للأدوار وجود، وحتى إن وجد شيء من ذلك فابحث عن عاملين رئيسيين تجدهما حاضرين:

( 1 ) مكر المتولين و محاولة إفشال مشروع المواسم من أصله و بالتالي القضاء على إشعاع كبير طالما قض المضاجع و أفسد سياسة الليل و الظلمة و ما يحاك فيها. . ورغم أن مظاهر للتوقير و الاحترام كانت تبدو في احيائين كثيرة من عدة عمال في وقت واحد مثلا فمرد ذلك بلدرجة الاولى للتنافس وكسب ود الزوايا الذي سرعان ما ينقلب إلى مماحكات و تنازلات و تأمرات.

( 2 ) الاختلافات و الاختلالات التي كان يحيكها من له مصالح شخصية فيهيئ اتباعه و السائرين في خطه لتنفيذ ما حلم به السيد أو ما دفع إليه ممن هم اكبر منه منزلة و اوسع سلطة و انفذ كلمة.

وغير هذا فقد ظلت المواسم لقرون طويلة تؤذي مآلتها الدينية أولا والتجارية ثانيا والثقافية ثالثا ولقد تحدثنا عن إيقافها لمدة ما وفي عهد هذه الاسرة الحاكمة أو تلك، ولكن النبع سرعان ما ينطلق من جديد ليسقي الاغراس ويروي الظماء إن هذه المواسم جديرة بالدراسة المتأنية الواسعة الهادفة وقد يتولاها غيرنا أو يهيئ فيها طالب جامعي أطروحته، ولكننا نشير إليها بسرعة لنقول:

لقد قامت بدورها في الميدان العلمي والتثقيفي فكم من علماء كانوا يدورون مع الدور دارسين مبينين للناس أمور دينهم وتاريخ بلدتهم وصحة جدودهم، وقد أشرنا إلى الفقيه اليوسي الذي ابتدا كتابه به (المحاضرات) بدور سكياط وهو ضيف على الفقيه ابي جماعة السكياطي ، كما أشرنا إلى ما كتبه الفقيه محمد بن البشير المقدم الرجراجي وكم من جهابذة في علم القراءات كانوا يدرسون ويطبقون ما درسوه بخيمة رجراجة ، ولم يذكر الناس أبدا أن المواسم تقام من دون فقيه راتب للجمعة وفقيه راتب للصلوات الخمس ومؤذن وحزابة يقرأون الحزب الراتب بعد صلاة المغرب و الصبح.

وفي الميدان السياسي لعبت كذلك دورها المتميز، وكل ما أشرنا إليه في الفقرة السالفة يعد دعامات من دعامات تركيز الحكم وتحبيب سلطته، ولقد وجدنا مثلا السلطان سيدي محمد بن عبد الله يبعث

لرجراجة بظهير سنة 1190هـ، قائلا: " إلى الجناح الابيض ساداتنا رجراجة كافة

من غير تخصيص، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فإن أحببتكم رضا الله ورسوله نحبكم تدعو لنا وللإسلام عند ختم زيارتكم لأنكم أنصار النبي صلى الله عليه وسلم، قاله يديم نصر المسلمين ءامين والسلام، في اثني عشر من صفر 1190<sup>هـ</sup> وكان الرجراجيون يبعثون للسلطان وفدا مهما بكتاب وهدية وهي عبارة عن كمية من التمر، وناقاة بيضاء هدية في الأعياد ولا زال الأمر قائما إلى الآن فيما يخص التمر بالنسبة للمواسم، وقد جاء في ظهير لمولاي الحسن الأول في 16 جمادى الأولى عام 1299<sup>هـ</sup> وصل كتابكم مخبرين بتوجيهكم بركة التمر من الدور الركراكي المبارك وبعدم تقصيركم في الدعاء لجنابنا العلي بالله<sup>١</sup>

وكذلك الأمر فيما يرجع للناحية الاقتصادية والاجتماعية فإن ستة أسابيع كل سنة لا بد أن تضخ دما جديدا في النسيج الاقتصادي للناحية خصوصا وأن كثيرا من القبائل تغد بسلعها والوان تجارتها إضافة إلى ما يستفيد منه الناس في علاقتهم الخاصة والعامة وما يحققونه من تعامل وترايط كثيرا ما يفضي إلى ترابطات عائلية وأخرى قبلية تكون سندا وأيدا لكل الأطراف.

ولا نتحدث عن المعروف والإحسان وإكرام الضيف بل المبالغة في الإكرام ولو ذهبنا نعد أسماء المحسنين والمحسنات في كل الزوايا خاصة الميسورة منها خاصة من يسرون أمورهم لطلال بنا المقام وناء بنا الشجر.

إلا أن هذه الأدوار، ولم يعد الزمان هو الزمان، يجب أن ينظر إليها نظرة جديدة متجددة وجدية، فقد طال الأمد وهي ترزح تحت أثقاله، ماض مضى لم يكن كله خيرا، وتحررت كثيرا من الزوايا والنواحي من قيوده وأثقاله، ولم يبق سوى الرجراجيين الذين نرى أن مواسمهم يجب أن ينظر إليها بمنظار الحق والصوابية وما شرعت من أجله وذلك ب :

- تنقية الأدوار من الطفيليات والمناكر والمقالب فإن المواسم بنيت على إقامة الدين والتسامح وقراءة القرآن وخفض الجناح وما كانت أبدا معرضا للمثلاث
- إبعاد ذوي المصالح الشخصية الذين لا يهمهم لا أمر رجراجة ولا مواسمها ولا تاريخها بقدر ما يهمهم ما إليه ساعون.

-بالنظر الجدي في الفتوحات وكيف يجب أن توزع، فإن من لهم مصالح في إبقاء ما كان على ما كان يهمه دائما أن تبقى الأمور غامضة مضطربة لا تسير إلا بالتواء وفق نمطية لم تعد تسير العصر، وحتى الهدية التي يبعثها جلالة الملك سنويا يجب أن يعاد فيها النظر، ولو صرفت هي والفتوحات في مشاريع تعود بالنفع كما اقترحنا مرارا لكان أفيد.

#### الدور المرتقب لرجراجة :

لرجراجة دور لا يستهان به بالنسبة للناحية وللمغرب كله، وبما أننا نريد لهذا الدور أن يتبلور ويعطي نتائجه من خلال بعض الاقتراحات التي لو أضيفت إليها أخرى من مهتمين آخرين للوصول إلى المبتغى.. فإننا نقترح وسبق لنا ونحن نحقق كتاب

السيف المسلول أن ألمحنا إلى شيء من ذلك.

1- المشاركة الفعلية في نهضة البلاد من خلال بلورة دورهم الجهادي والديني والعلمي والأخلاقي والاقتصادي والإنمائي بعامة.

2- جعل زواياهم كما كانت مقرات لذوي الفضل والتدين والمروءة، والالتجاء إلى الله ودراسة العلم والقرآن بقراءاته المختلفة وتفسيراته المتنوعة إضافة إلى التصوف والمجاهدة

3- العناية بالشبلب الرجراجي من حيث فتح آفاق معرفية قريبة منه كتأسيس نواة جامعية بالصويرة تحمل (جامعة رجراجة) أو اسم رمز من رموزهم.

4- فتح المجال أمام الزوايا الرجراجية وللإنسان الرجراجي لتشارك بدورها كبقية الزوايا الأخرى لتعبر عن ذاتيتها و تتحدث عن تاريخها بمختلف الوسائل و من خلال المنابر الإعلامية.

7- إبعاد الصبغة الفلكلورية والرسمية المبالغ فيها، فما جعلت المواسم للفلكلور ولا للبيع والشراء وخلق رواج اقتصادي على أهميته، وإنما لرجراجة رسالة أدوها و ينبغي أن يؤدوها بأحسن أسلوب و دونما تهريج و تهيج و تخويف و القفز على كل الحبال، وهذا يدفعنا للقول، إن أمورهم يجب أن يتولاها أناس في المستوى فالزمن زمن ثورة فكرية وإنسانية و ثقافية، والرجراجيون أصبح فيهم مثقفون كبار، وأساتذة مبدلون، وأطباء ماهرون، وسياسيون جادون، وشباب متطلعون وأئمة هادون، وتجار ناجحون، وفلاحون منتجون، وموظفون مقتدرون، وهذه الحشود يجب أن تجد من يتكلم معها بنفس منطقها و إدراكها و تفكيرها و يفسح سبل التعرف على تاريخها وموروثها المجيد.

7- خلق جمعيات رجراجية حقيقية تكون بعيدة عن الدجل و الملق والهوى تتجمع في رابطة تساعد المقدم المنسق وكذا مقدمي الزوايا الأخرى.

8- خلق مباراة كل سنتين تسلم فيها ثلاث جوائز لأحسن البحوث في أي مجال من المجالات التي تهم الناحية عامة والرجراجية خاصة، وتسلم يوم اختتام الدور السنوي.

بهذا و شبهه يمكن أن ينفصح أفق آخر جميل و جليل يعاد فيه للرجراجيين اعتبارهم، ويسيروا بخطى ثابتة في تحقيق رسالتهم السامية التي هي قبل كل شيء و بعد كل شيء رسالة إسلامية طاهرة خالدة.

## هوامش الفصل السادس

90 - كانت مواسم رجراجة تسمى (مجمع الأخيار).

91 - السيف المسلول - الصفحة الأخيرة للغلاف،



## الفصل السابع :

### المقاومة بالزوايا الرجراجية : زاوية ابن حميدة نموذجا

#### تقديم :

منذ أن ارتبطت بلادنا مع الشرق الإسلامي برباط الدين الإسلامي وهي تكافح كغيرها من الأقطار الإسلامية في سبيل عزة دينها وتقوية شخصيتها وبلورة انتمائها وإيجاد مكان مشرف لها تحت الشمس.

ورجراجة التي هي إحدى القبائل المغربية البربرية القديمة كان لها فضل السبق إلى الإسلام حيث وفد منها سبعة رجال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمهم بلغتهم ودعا لهم ورجعوا لبلادهم ينشرون دعوة الله ويجاهدون في سبيله.

ولقد كانت لهم مواقف مشرفة إما ضد البورغواطيين الذين كان مدّهم كاسحا وإما مع غيرهم من الوثنيين والضالين، والمصادر تحفظ لنا أسماء الصحابة الرجراجيين الذين كانوا يتقدمون الصفوف كالسادة واسمين ويعلى بن مصلين وسعيد السابق وأخيه عيسى بوخابية... بل إن كل واحد من هؤلاء كان له دور يؤديه إضافة إلى الجهاد، فمنهم من كان مستشارا للجموع ومنهم من كان مشرفا على صبغ ثياب المجاهدين ومنهم من كلف بضرب الطبل الذي بقي معلقا بضريح شاعر ابن يعلى إلى القرن السادس".

#### دور الزوايا الرجراجية :

ودور الزوايا الرجراجية دور غني جدا من الناحية الجهادية والعلمية والصوفية، ومتنوع كذلك، وهذا مرده لأسباب منها :

أ- تعدد الزوايا، ففي المغرب من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب زوايا رجراجية منتشرة خاصة في إقليمي الصويرة وأسفي حيث معقل الرجراجيين الأوائل ومساقط رؤوسهم، حيث أن مواسمهم التي تدوم قرابة ستة أسابيع متصلة تقام بهذين الإقليمين.

ب- تعدد النماذج الإنسانية بها من علماء ومجاهدين وصوفية وقضاة وعدول ووزراء وأهل البر والإحسان بعامّة، ففي كل زاوية مدرسة قرآنية وأخرى علمية لصالح النشء وترقية الإنسان.

ج- تعدد الظروف المحيطة بها.

فكم تعرض الرجراجيون للضرر والتقتيل والتشريد ويقال إن ابن خزار المغراوي قتل من رؤسائهم في يوم واحد ثلاثين فردا، وابن خزار معروف أمره على عهد الدولة الإدريسية، هذه الظروف جعلتهم دوما متحفزين للجهاد ومتقدمين للصفوف ورافعين



اصواتهم بذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يتأخر الرجراجيون أبدا في الدفاع عن حوزة الوطن كلما كان مهددا من الخارج حتى إنهم يقولون : إن القباب على الساحل الاطلسي من الصحراء إلى طنجة اغلبها قباب رجراجية.

### رجراجة والاسر الحاكمة :

ولعل دورهم الإسلامى الجهادي هو الذي نأى بهم عن خوض غمار السياسة ومشاكلها ومؤامراتها وبالتالي صراعاتها التي كثيرا ما أدت ببعض الزوايا إلى محاربة المتولين أو إقلاق راحتهم على الأقل، وليس صدفة أن نجد العديد من الزوايا تتعرض للامتحان سواء على العهد السعدي أو العلوي وتبقى الزوايا الرجراجية بمنأى عن ذلك بل بمنجاة منه، بل كانت علاقات الرجراجيين دوما مع السلطات القائمة علاقات توازن وتقدير وتكليف لفض المشاكل وحل النزاعات.

وهذا ليس معناه أن الجو كان دائما صافيا لا غيوم فيه، ففي قصة الإمام عبد الله المليجي الشوشاوي الرجراجي مع علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني بعد حرق كتاب: "الاحياء" للإمام الغزالي، وكذلك العالم عمر بن محمد الرجراجي الفلسي مؤلف كتاب "هداية من تولى غير الرب والمولى" مع أبي سعيد المريني، ما يدل على أن الفقهاء الرجراجيين كانوا يشددون النكير على الحاكم ولا يتأخرون في الصدع بأرائهم والجهر بها<sup>83</sup>، هذا مع أن للمرينيين دورا هاما في جمع شتات الرجراجيين بعد المحن التي لحقت بهم فكانت علاقاتهم وإياهم جد ممتازة، وحسب علمنا فإن أقدم ظهور عند رجراجة يرجع لأبي الحسن المريني ويوجد مع وثائق زاوية سيدي سعيد السابق.

والرجراجيون كانوا من أول يوم مسؤولين عن الدولة السعدية، فإن عبد الله القانم السعدي وولده أبا العباس الأعرج نزلا ببلاهم بافوغال بالدرى وظلا يقاتلان العدو البرتغالي بمن معهما من رجال حاحة ورجراجة إلى أن استشهد الوالد سنة 923هـ/1517م ليخلفه الولد.

وقبل السعديين ومنذ تسلم الوطنسيون القمة وبدأت الشواطئ تسقط تباعا أدرك الرجراجيون ما يحك لدولة الإسلام بالمغرب فهبوا مع من هب من إخوانهم المواطنين للقيام بالواجب وطرد المغير، هذا العمل الذي لم يرفيه مؤلف (الحضارات الإفريقية) : سوى عمل عنصري وغير حميد إذ كتب "ولكن المغرب زاغت عن صوابها عندما أبعدت الإسبان والبرتغال في أواخر القرن السادس عشر، فانغرس فيها الحقد الديني كما انغرس من قبل على سواحل الجزائر وتونس بين أهلها والأتراك، فانقطعت الصلة وأصبح البحر المتوسط جحيما 85.

### الرجراجيون والحركة الوطنية :

وقبيل سقوط بلادنا تحت النير الاجنبي وبعد سقوطها ذاق الرجراجيون في زواياهم ما ذاقه أهل المغرب اجمعين من تعسف وضغط وهتك للحرمات وعذابات اليمه سواء من طرف الاستعماريين مباشرة أو من طرف زبانياتهم القواد الذين فتح لهم

الاستعمار شهية التسلط فبغوا واستبدوا واستعبدوا وقتلوا واقترفوا... وهناك مأس كثيرة ارتكبت ضد صلحاء وعلماء ومرابطين خاصة في الزوايا التي كانت لها نجدة وكلمة وسمعة.

ودخل الرجراجيون فيما دخل فيه إخوانهم المغاربة حيث رأت الحركة الوطنية وبعد هزيمة البطل الخطابي والقضاء على ثورة الأطلس، إن الأمر يحتاج إلى المقاومة السياسية والإقبال على التعليم وإنهاض الشعب ومحاربة البدع والتدجيل، ومقارعة الاستعمار عن طريق الوعي والإيمان بالعلم وبذل كل شيء في سبيله والحكم بما أنزل الله، ولو سلطة الرقيب بأسطة نفوذها انطلاقاً من أن الأحكام الشرعية لاسطة للإدارة عليها.

وحيثما قدمت عريضة الاستقلال كان للرجراجيين ممثلهم، إذ كان للسيد عبد الله ابن محمد الرباطي الرجراجي - قيم الخزانة العامة - شرف التوقيع مع الأبطال الذين وقعوها، وكان هناك آخرون ذاقوا السجون والمنافي وأوذوا في النفوس والأهل والمتاع.

### الزوايا الرجراجية ونفي محمد الخامس :

وما أن نفي محمد الخامس رمز المشروعية رحمه الله وعائلته الكريمة حتى أصاب الرجراجيين ما أصاب غيرهم، لكنهم لم يبقوا مكتوفي الأيدي، ولم يستسلموا في النواح والعيول وإنما فعلوا ما فعل الشعب وما فعله معروف، إلا أنه ومن الإنصاف أن نتعرض لبعض الحالات الفدائية التي وقعت في الأقليم والتي تدل على أن مواطنيه لم ينسوا قضية شعبهم الكبرى، ولا ملكهم المجاهد ولا استقلال بلادهم، ولم ينكسوا أو يخافوا جبايرة الاستعمار وذيوله وسواء كانوا داخل الأقليم أم خارجه فقد ساروا في درب النضال كبقية المغاربة.

### نوع العمليات:

- 30 يناير 1955 بموكادور - الصويرة الثامنة ليلا تلقى باشا المدينة رصاصتين من شخص مجهول عندما كان ذاهباً إلى منزله، وأصيب بجروح متفاوتة الخطورة في كتفيه وفخذه ومع ذلك فقد استطاع الباشا مطاردة الشخص المجهول، مما أدى بالفدائي إلى مواصلة إطلاق النار من فوهة مسدسه فجرح جرحاً بليغاً مغربيين وأوربيين، وألقت الشرطة القبض على الفدائي<sup>96</sup>

- 11 غشت 1955 على بعد 20 كلم من الصويرة، أضرمت النار في مزرعة فرنسية يملكها معمر فرنسي يدعى فوساط كوميز، فاحترقت كمية هائلة من التبغ<sup>97</sup>

- 30 شتنبر 55 بينما كان أحد الأوربيين قرب دار العسكر بطريق الصويرة هاجمة أشخاص مجهولون وطعنوه بألة حادة ولاذوا بالفرار<sup>98</sup>

### زاوية ابن حميدة

هذه الزاوية القائمة على ربوة والمشرقة على سفح جميل مغروس في الطريق

الذاهب من أسفي إلى الصويرة والتي تبعد عن الأخيرة بما يناهز خمسين كلم، أسسها الصوفي الكبير الشيخ امحمد بن حميدة بن سعيد السعيد الرجراجي الذي كان صديقا للشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، وقد عايش هذا الصوفي المولى اسماعيل رحمه الله الذي أنعم عليه بظواهر.

وقد لعبت هذه الزاوية دورها الصوفي والعلمي والإنساني والسياسي، وبسبب هذا الأخير وقعت في مشاكل كثيرة إن لم نقل مأسى متعددة أخلت من جرائها لمدد مختلفة.

أولى هذه المأسى كانت أيام الخصومة التي نشبت بين أولاد سيدي محمد بن عبد الله علي الملك ويظهر أن الزاوية كان هواها مع المولى يزيد، وبما أن القائد عبد الرحمان بن ناصر الذي كان يحكم من أسفي إلى الصويرة. وكان في جانب المولى الحسين فقد خرب الزاوية رغم هزيمته بها.

ثانية هذه المأسى كانت على يد القائد بوجمعة التلاوي الذي ثارت عليه القبيلة وكان من زعماء الثوار واحد من أبناء الزاوية فتعرضت للتخريب وتفرق أهلها خمس سنوات كاملة من سنة 1272هـ إلى سنة 1276هـ.

ثالثة مأسىها - وان سلمت في الناحية البشرية على الأقل - فقد كانت أيام أزمة المغرب على عهد المولى عبد العزيز، حيث الفرنسيون يتشوقون إلى احتلال البلاد وحيث الملك المجاهد المولى عبد الحفيظ يرسي أسس دولته بمراكش، وكانت الزاوية في جانبه، فجاءت جيوش القائد الحاجي وجيوش القائد البشير السناح، وحوصرت الزاوية التي انتقلت إليها كل القبائل المحيطة بها... ولكن الأزمة انفجرت، وأرى أن ذلك كان بتدبير من القائد الحاجي الذي كان يضم ودا صادقا للزاوية كما تشهد بذلك المراسلات والعلاقات التي ما تزال متينة بين بعض سكانها والأسرة الحاجية.

ولم ينس هذا الموقف للزاوية وهي في ذلك ككل الجنوب فبمجرد أن أعلنت الحملة، كان من جملة التدابير التي اتخذها الفرنسيون في هذه الناحية انتزاعهم زاويتي ابن حميدة وأكرات من نفوذ القائد الحاجي وإضافتهما إلى القائد الحاج لحسن خبان والغاية من ذلك مزدوجة :

- معاقبة القائد الحاجي بإخراج أهم جوهريتين لديه لأنه جمع الجموع في شيشت ضد القوات الفرنسية

ب- معاقبة الزاويتين وجعلهما تحت تسلط قائد معروف أمره كأكثر قواد وقته.  
مقاومة الاستعمار الفرنسي :

سبقت الإشارة إلى دور الزاوية ونفوذها الذي جلب لها محنا ومشاكل، ونشير ثانية إلى أنها ذاقت من ويلات المستبد الفرنسي سواء عينا أو بواسطة الزبانية القواد ، وذنباها أن بعض رؤسائها كانوا متفتحين على المحيط الخارجي للزاوية، إذ كانت لهم علاقات مع كثير من الفقهاء والرؤساء والوجهاء والسياسيين والقضاة خاصة في نواحي الشاوية والبيضاء ومراكش والرباط وسلا وفاس وأسفي وعبد، كما أن علاقاتهم مع القيادتين القريبتين من الزاوية وهما الأكرامية والحاجية أضافت كثيرا من البنزين إلى النار.

وكان على رأس من اکتوى بالنار الشديدة أكثر من أبناء عمومته وخزولته الفقيه عبد الله بن محمد المقدم الرجراجي السعيد.

وقد أدرك هذا الرجل ما يحاك ضد بلاده وعرشها وذلك لوعي متقدم لديه الشيء الذي جعله يدمن على قراءة الصحف التي كانت تصدرها الكتلة الوطنية كجريدة "الاطلس"

واستمر حقد المستعمرين وأذئابهم عليه يوم رفض التعامل مع إدارة الحماية حيث سبق له أن قبل وظيفة شيخ بنصيحة من صديقه القائد أحمد الحاجي ليبعد عنه الشبه والتهم، ولكنه سرعان ما أدرك أن الوظيفة شيء وما يعتمل في نفسه شيء آخر فقدم استقالته الشيء الذي ألّب عليه قوى البغي فنفي إلى ضيعته بعبدية حيث بقي بها اثنتي عشرة سنة ابتداء من إبريل سنة 1945...

وقد يكون من المفيد الاتيان بفقرات كنماذج من بعض خطبه :

قال حينما ذهب الملك في رحلة لطنجة سنة 1947 - مولاي وقوفك بطنجة، وخطبتك الشريفة بجمعتها، ودعاؤك لملوك الاسلام، زاد العروبة جراءة واقدام، واحيا لشعبكم ما ناهز الستين، الا وهو يوم كان واقفا فيها جدكم الهمام، أبو النهضة وأبو الاصلاح، وامامه المخلصون من رعيته، المتفانون في خدمته، على الابراج ومدافعها التي كانت أقصى ما وصلت إليه يد الإنسان في حينها وتمثل لنا أيضا، اليوم الذي طرقتها الجبل الراسي جدكم الصنديد المغوار، سيدنا اسماعيل قدس الله روحه، وزادنا طربا وتيها، ان هذه البلدة، صار الكل يدعي أنه بعلمها وهي حليلته، حتى برقت أعلامكم ذات الهلال الأخضر، فعند ذاك ذهب أرجاس الشياطين، وطار السكر ومضت الأحلام، والآن لله الحمد، رجعت المياه لمجاريها، والعروس لمن هو أحق بها، ولا ينبئك مثل خبير.

"إنني وأنا عبد الله مقدم رجراجة نزيل عبدة مؤقتا من رعاياك المخلصين فلتقبل مني هذه الهدية يا نعم الملك الشريف ولو كنت ضعيف سائلا من الله أن يغمس سيدنا في ظله الوريث... وولدك وولي عهدك الضرغام، الأمير مولاي الحسن الهمام، من أيقظ شبلب المغرب في نصف عام، لهو أحق أن يقعد له ويقام، فلقد رأيت شهادته وأنت على عرشك يا إمام..."<sup>100</sup>

وقال من خطبة سنة 1949 بمناسبة عيد العرش :

"خرج أعزه الله، -يقصد الملك- والعناية تكلاه، كأنه طبيب، جراح مثمرا عن ساعديه، ولم يبال بفخفة الملوك في أعيادها، وتكلم في خطابه الموجز البليغ بما أنسى يوسف وعلياً سليله، والمولى اسماعيل والمولى محمد حفيده، ولم يرض بانحطاط شعبه بين الشعوب، وبين لهم ما تحمله من المشاق في السنة الماضية من إعانة المنكوبين، والتفريج على المعتقلين، وبناء المدارس، وغير وغير، وأنني واشتكي من الخمول في أمور المياه والكهرباء والبريد، والفلاحة على الطرق العتيدة، فليست همة أتاتورك ومارك وجندارك تساوي حبة من خردل في جنب أطنان همته، فهؤلاء الزعماء أرباب العقول، غايتهم إتعاب أفكارهم، في مصالح أوطانهم وعاهلنا هذا أتعب فكره، وأعطى موجوده الخاص، بمصالحه الضرورية، في مصالح شعبه، ولا معين له إلا الله وهمته القعساء التي لا ترضى بالدون، ولم يدخر شيئا ينهض شعبه إلا فعله، اقتداء بجده السلطان العظيم الشأن، سيدنا ومولانا الحسن..."<sup>101</sup>

وكلام مثل هذا في تلك الظروف معروفة نتائجه، وليكون أكثر احتكاكا نذب أحد أولاده ليكون صلة بينه وبين رجال الحركة الوطنية ولقد زاره الأستاذان محمد اليزيدي وأبو بكر القادري في بداية الاستقلال، بل إن المرحوم الأستاذ علال الفلسي كان يعده واحدا من أصدقائه، وعلال هو الذي قال في حقه في تجمع جماهيري بتالمست سنة 1956 أثناء رحلة له لتلك الناحية "لا يوجد في هذه الناحية من مخلص سوى الزرقطوني وهذا الشيخ الوقور".<sup>102</sup>

نعم إن الزرقطوني ابن لهذه الناحية وضريح جده "مولاي بوزرقطون" لا يبعد عن زاوية ابن حميدة إلا بنحو ثلاثين كلم، ويقصده الرجراجيون أثناء مواسمهم مرتين أثناء ذهابهم للصويرة وحالتما رجوعهم ولذلك يعرف في الناحية بـ "مولي دورين" وقد استبد به إبان النفي استبدادا فاحشا ومنع من أملاكه ولكنه ظل يقاوم، وتجلى ذلك في مظاهر منها :

أ - إصراره رغم كل شيء على متابعة الكتلت الوطنية ولولا خوف التطويل لاتينا بنماذج أخرى

ب - متابعته لشد أزر الوطنيين والمكافحين سواء داخل الإقليم أو خارجه

ت - اختباء المقاوم محمد الزرقطوني عنده أياما وليالي ذوات العدد بداره بضيعة التي نفي بها قرب جمعة سحيم، والمستعمرون يبحثون عنه أسبوعين كاملين.

ث - ولما توجس خيفة من افتضاح أمره خاصة وأن المقاوم كان يلح على أشياء كان يراها ضرورية كالجراند العربية والفرنسية، وبما أن الشيخ عبد الله كان لا يعرف لغة أجنبية ثانية، وبما أن أولاده بمراكش للدراسة فلم يتأت شراء الجراند الأجنبية، واعتقد أنه بإشارة من أحد أصدقائه الذين كانوا بالإدارة ولكنهم مخلصون، أدرك أن الشكوك تحوم حوله فبادر بإرسال المقاوم الشهيد عند أولاده بمراكش، وهناك بقي شهرا كاملا بين مارس ومايه سنة 1954

## هوامش الفصل السابع

92 - ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955 بتاريخ 86 ج 15/13/1421 نونبر 1991 كلية الآداب والعلوم الانسانية اكادير ونشرت المقالة في الكتاب بالعنوان السابق ص: 443 ونحن ننشر هنا مقتطفات منها .

93 - السيف المسلول لعبد الله بن محمد المقدم السعيد الرجراجي

94 - قرية في الطريق السيلار بين البيضاء والصويرة، وتبعد عن الأخيرة بحوالي 30 كلم

95 - الحضرات الإفريقية لدنيز يولم ص: 67

96 - مجلة المقاومة وجيش التحرير - الوثائق الرسمية عن المندوبية السامية - سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، ويوجه الشكر للقائمين على شؤون المندوبية بأسفي.

97 - مكرر ملوك بريس - الأمة

98 - السعادة - لوبرتي ماروكان.

99 - السيف المسلول والرسالة منشورة هناك

100 - انظر نصهما الكامل في كتابنا تواريخ مشرقة من حياة الملك والشعب

101 - نظرات في حياة الفقيه الشيخ عبد الله السعيد الرجراجي خاصة. الفصل المعنون بوطنياته - مرقون

102 - نفس المرجع.



## الفصل الثامن

### زوايا رجـراجة وإسهاماتها زوايا اقليم آسفي<sup>103</sup>

#### مدخل :

ما يزال البحث في نور الزوايا بالمغرب لم يتبلور بالشكل الذي يقف فيه المتطلع على كل ما يود معرفته، وذلك في غياب معطيات كثيرة يعود بعضها إلى السوسولوجي وبعضها إلى التاريخي وبعضها إلى السياسي وبعضها إلى الاهتمام بالتوثيق والمراجعة والبحث الذي تعرقله أسباب وصعب لا يتأتى تذليلهما إلا للقليل وبعضها إلى المصالح والحساسيات.

وإذا كان هذا حال زوايا لا يتجاوز عمرها الثلاثة قرون إلى الأربعة فماذا يقال عن زوايا رجـراجة التي واكبت الإسلام منذ أن أضاء هذه الأرض، بل إن أصحابها ومؤسسيها هم المسؤولون عنه بعد إسلامهم في زيارة مشرقية لرسول الإسلام عليه السلام كما تفيد أكثر الروايات ؟ ماذا يستطيع الباحث المدقق أن يقدم عن زوايا منتشرة بانتشار رقعة الوطن خاصة بإقليمي الصويرة وآسفي، إضافة إلى هذا الكم الهائل من التراكم التاريخي الواضح وغير الواضح، المستمد من آثار ووقائع ومواقف جليلة وجليلة أو من تخمينات وشهادات شفوية لا تخلو من الغلو والانبهار المصحوبين دوما بالإفراط والتهويل.

#### معوقات :

إن معوقات عديدة تحول دون تحقيق مبتغى متجرد موثق أهمها :

- 1 - كثرة الزوايا وتعدد معالمها وتفرق رجالها ونبغاتها ودعاتها.
- 2 - توزع الاهتمامات الشخصية والنوازع الإنسانية المحلية والخارجية.
- 3 - المصادر المعتمدة في هذا المجال لا تسعف الباحث بالكثير، ولا تلبي رغباته النقدية. وإن كانت أكثرية هذه المصادر تصب في اتجاه كونهم صحابة ووصلوا إلى مكة واسلموا ورجعوا يحملون لواء الدعوة للدين الجديد.
- 4 - أن ما عند هذه الزاوية من وثائق ومستندات وعقود ليس عند الأخرى إضافة إلى الضن بها من جانب مالكيها وعدم التعامل بتلقائية معها ومع من يبحث عنها.

هذه المعوقات كان لها خطرهما الأكيد والكبير على الأقل من نواحي ثلاثة :

1- أنها ألقت ضبابية كثيفة ما تزال تطفئ على جهادهم وتحركهم ومقاومتهم

وصوفيتهم فاختلف الواقع بالخيالي، وتسربت كثير من العوائد التي غذاها الجهل والتربص والجمود.

ب- آخرت البحث في الفترة الاولى من تاريخ رجراجة بمناولات جيدة وعقليات جديدة لا تستهدف إلا الحقيقة، الشيء الذي ترتب عنه غموض كبير كاد أن يشوه الفترة كلها لا على النطاق الرجراجي وحده وإنما على نطاق المغرب كله.

ج- أفسحت المجال أمام الكثير من الأخذ والرد والتخرصات والشكوك التي كان من الواجب استغلالها في بحث علمي جاد لا مقولات وآراء شخصية ربما كان بعضها مبنيا على تصفية حسابات ليس إلا.

ومع ذلك فالزاوية الرجراجية قدمت لهذا الوطن خاصة وهي تقع على الساحل أو بالقرب منه الكثير، إن على مستوى الجهاد والمثاغرة والتصوف وإن على مستوى العلم والدين والفكر، وإن على مستوى الحياة بعامة.

### دور التأسيس :

وقبل الحديث عن التأسيس نقف لحظة مع هذا التعريف الزاوية هي أداة تنظيمية تفرزها كتلة قبلية، غايتها حماية هذه الكتلة من التفكيك، وذلك بواسطة الشروط اللازمة لبقاء هذه الكتلة على المستوى المادي أولا، ثم ربطها على مستوى الشرعية السياسية / الدينية، بالإسلام الشرعي ثانيا<sup>104</sup>

فأين تقف الزاوية الرجراجية من هذا التعريف ؟ وكيف يطبق عليها ؟

ونرى أنه ينطبق عليها إلا فيما يخص الشق الثاني منه المتعلق بالربط بمستوى الشرعية السياسية / الدينية التي لم تتبلور ساعتها عند المؤسسين، ولم يكونوا يفكرون فيها من منطلقاتهم الخاصة، وإنما جاء بعد ذلك بعد مضي عشرات السنين خاصة بعد أن افترق المغرب عن المشرق وأصبح له كيانه وذاتيته، وسياسته وتوجهاته، بل حتى الظروف التي كان يعيشها المغرب كله، والجهة التي تواجدت فيها الزاوية منه، كانت ظروفها ما تزال تتعثر في دعوة إسلامية ناشئة من أناس لم يعتمدوا قوة ولم يجردوا جيشا، واستعمار قرطاجني متمكن وشخصية متبربرة مؤطرة بحب ما لديها والاستعداد للدفاع عنه بكل ما أوتي وإن المصاعب التي تعرض لها الفاتحون الأولون لا كبر دليل، ويبقى أن تأسيس الزاوية الرجراجية كان وراءه غرض ديني محض، وابقاء شعلة الحماس الديني مشتعلة في النفوس، فإن الرجال السبعة الذين أسلموا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجعوا لهذه المنطقة كانوا متفرقين في نواحيها ولا يجتمعون إلا إذا دأع لذلك.

ومن جملة ما اتبعوه في منهجيتهم ليحافظوا على تماسكهم والبث لدعوتهم هذه المواسم (الدور) التي ما تزال تقام ربيع كل سنة فلاحية، والتي اتسعت أفقيا وعموديا حتى وصلت ستة أسابيع متواصلة، وكانت مقتصرة في الأول على السبعة حيث يزورون ويزارون.

ولعل في اختيار الربيع لدورهم والطريقة التي بها يبتدئون ما يستشف منه الكثير

اعلم انه إن كان دخول مارس الفلاحي بالسبت أو الأحد، فإن الدور يكون في الخميس الأول منه، وإن كان بالاثنين أو الثلاثاء، فلا لأن رجراجة يتحرون أيام الحسوم فلا يبدأون فيها مواسمهم السنوية... ويوم الجمعة الذي هو يوم الدور<sup>105</sup> يتفنن الناس في الاحتفال والفرحة والزينة وبضريح الشيخ أبي علي تلتقي الطائفة بالمقدمين، وعلى بابه يستعيذون بالله من الشيطان الرجيم ويصلون على أشرف الورى عليه صلاة الله وسلامه...<sup>106</sup>

هذه المواسم التي أدت دورها جيدا والتي لم تسلم من بعض البطش وحتى الايقاف في بعض مراحلها كانت غايتها الاولى والاخيرة كما قلنا المحافظة على الجذوة الحماسية في النفوس والاستعداد للبذل إذا ما هدد الدين مهدد، ثم اتسعت هذه الغاية لتدخل بعد ذلك السياسة والتنازع بين العمال والقواد على الزوايا التي كانت تجد في السلطات العليا منجدا ومنصفا.

### الزاوية الرجراجية وأطروحة الاندماج والتمايز.

إن الزوايا الرجراجية كانت بعيدة عن أطروحة الاندماج التي تقول إن أطروحة الاندماج لم تر إمكانية للوصول إلى السلطة إلا انطلاقا من "الزاوية" ف وراء كل زاوية يكمن مدع للعرش<sup>107</sup> "ورغم أن هذا القول فيه غلو كبير في تقديرنا على الأقل فإن الزاوية الرجراجية كانت بمنأى عن منطوق القول ومفهومه ومفعوله، فهي لم تناور ولم تحارب من أجل عرش، ولم يسجل التاريخ أن واحدا معروفا من أبنائها تقدم للصفوف للمناداة على نفسه ولتكوين دولة، رغم أن الرجراجيين كانت لهم مكانة عند المرينيين حيث إنهم كانوا من أول من بايعهم"<sup>108</sup> وكانوا اليد اليمنى في قيام السعديين، وإن فسد الجو بينهم أيام الشيخ محمد بن زيدان بن المنصور الذهبي، قثاروا عليه وحاربهم فهزموه الشيء الذي استوجب التفكير في رجال سبعة بمراكش علا شأنهم وتبلور أمرهم أيام مولاي اسماعيل العلوي.

وكذلك الأمر فيما يرجع لأطروحة التمايز الذاهبة إلى كون الزوايا تنشأ انطلاقا من التناقض الحاصل بين "المجتمع والسلطة"<sup>109</sup>، وذلك أنها في الوقت الذي تأسست فيه لم تكن هناك مؤسسة سلطة قائمة تنشر ألويتها على البلاد، ولم يوجد بعد ذلك المجتمع المتفاعل مع سلطته سلبا أو إيجابا فيصفق لها أو يحمل السلاح.

قد يقال أن الزوايا الرجراجية لم تأخذ اسمها إلا في العهد المريني الذي كان له الفضل في شد أزر مؤسسة الزاوية بعامة، وإنما كانت تسمى رباطات كرباط أكوز ورباط شاكرو. وفي غياب أي معطى ينفي أو يثبت هذه الحقيقة بالنسبة لزوايا رجراجة، فإننا نقتنع به لكن مع التأكيد على أن زوايانا هذه سواء قبل العهد المريني أو بعده كان مفهومها معروفا ومهضوما، لم تكن لها من غاية غير ما أسست من أجله، ولا شك أن السلطات والاسر الحاكمة التي توالى على المغرب أدركت هذه الخاصيات فعاملتها باحترام وعاشت في نوع من الاطمئنان، ولم تتعرض لما تعرضت له زوايا أخرى من محاسبة ومحاربة وإنهاء وحسب ما نعرف فإن أول ظهير يوجد بالزوايا الرجراجية هو في حوزة السعيدية، من قبل أبي الحسن المريني.

## أدوار مختلفة :

وتناغما مع ما من أجله أنشئت حققت الكثير مما تريد باليأت مختلفة وفي ظروف متنوعة، وقد يكون مفيدا الإشارة إلى بعض ذلك :

أ- الناحية الصوفية: رغم أن الصوفية الرجراجية المتأخرة متأثرة بالشاذلية وما في معناها فإن صوفية الأولين كان قوامها الأسس الديني والتفكير المحلي المبني على التصور العملي الصرف للتصوف، الغير المغرق في الاتكالية والتهجد وقتل الوقت وإيلاء النفس فقرن الجهد بالجهاد والاعتكاف بالعمل والعلم بالسلوك والذكر بالانضباط، وقد تنبه لهذا القاضي بن الزياد التادلي فكتب في تشوفه "وسميت هذا الكتاب بالتشوف إلى رجال التصوف وإن كان مشتملا على أضراب من أفاضل العلماء والفقهاء والعباد والزهاد والورعين وغير ذلك من ضروب أهل الفضل، فإن اسم الصوفي يصدق على جميعهم بوضع هذا الاسم عند المحققين فإن كثيرا من الناس لم يحصلوا حقيقة اشتقاقه، والذي يعول عليه، أن انصوفي هو المنقطع بهمة إلى الله تعالى، المتصرف في طاعته"<sup>110</sup>

والقرن الخامس والسادس بطبيعتهما كانا عصري تصوف إلى حد ما، لأن الأحوال السائدة كانت داعية إليه، وإن هذه القباب الكثيرة من طنجة إلى الصحراء لمتصوفين رجراجيين أو مجاهدين أو مرابطين أو معلمين لتخفي صفحة ناصعة لذلك الجهد المستمر القائم على أعمدة الدين الحنيف الذي استمر بمجيء الشيخ الجزولي تلميذ أبي زيد الرجراجي، والاستقرار ببلادهم فكان مريدين واتباعا ومدرسة اتسع فضلها وانتشر.

إن الصوفية الرجراجية اكتسبت ن مع أشياء أخرى ن الزاوية نفوذا معنويا وقوة مادية تعاملت بها مع الأحداث في يسر وائلة وتفهم لكل الأوضاع.

ب- الناحية الجهادية : إن رجراجة منذ أول يوم حملوا السلاح ضد الشرك والكفر والظلم والإظلام، منذ جاءوا حاملين راية الإسلام، وهم يتقدمون الصفوف ولقد حاربوا برغواطة كما حاربوا الإباضيين والشعبيين أولا، وحاربوا البرتغال في المراسي والسفوح المغربية من الحدود إلى الحدود، وحاربوا كل من اعتقدوا فيه أنه تنكب الطريق السوي، بل إن المكانة التي تمتعوا بها إنما جاءتهم مما قاموا به ولو كان المجال متسعا لاتسع القول وأفيض فيه.

ج- الناحية العلمية والفكرية : لقد وازن الرجراجيون بين كل القيم والمثل الرائعة وبين ما تتطلبه الحياة، ولهذا حرصت كل زاوية على تأسيس مدرستها العلمية والقرآنية، فإن أعجزها الظرف على الإنفاق بالنسبة للأولى، فإن الثانية كانت في ازدهار كبير، ومن ثمة نشطت حركة حفظ القرآن الكريم والتفقه في قراءاته ورسمه، وكانت هناك مدارس قديمة كبيرة جدا كالقرومودية والسعيدية والواسمينية بها العلماء والمؤلفون والقضاة والعدول والخطباء، وأخرى حديثة كالسكياطية والاكراية والبنحميدية لا تقل عن الأولى إن لم تكن فاقتها، بل إن الأخيرة درس بها العديد من المشاهير كالشيخ أبي شعيب الدكالي، والحاج علي الدرقاوي والد الفقيه الحاج محمد

المختار السوسي ومحمد القشاش الصوري المعروف بالكبير.

د-الناحية السياسية : سبقت الإشارة إلى كون الرجراجيين لم ينغمروا في الشأن السياسي، ولكن هذا لا يمنع من مشاركتهم فيه بصفة أو بأخرى، بل من علمائهم من شدد النكير على الحاكم ولم يبال بسلطته كالشيخ عبد الله المليجي الشوشاوي الرجراجي مع علي ابن يوسف بن تاشفين في قضية حرق (إحياء علوم الدين) للغزالي وكالفقيه عمر بن محمد الرجراجي الفاسي مع أبي سعيد المريني، والعديد من الزوايا تعرضت للضرر والعسف من المتولين بسبب مواقف المتقدمين المناوئة ولم ترتح نسبيا إلا بعد أن أصبحت تحت مقدم واحد معين بظهير هو الشيخ محمد بن حميدة مؤسس زاوية بن حميدة، من قبل المولى اسماعيل حيث تواصل ذلك في إلى الآن، ولا نريد التعرض للاقتصادية والاجتماعية والإنسانية.

هذا فيما يرجع للزاوية الرجراجية بعامة، ومنها باقليم الصويرة ما يصل إلى الثلاثين ما بين صغيرة وكبيرة. أما في اقليم آسفي فبه العديد نشير إلى البعض في سرعة.

### الزاوية الرجراجية باقليم آسفي :

وأما ركراكة فكانت تشمل في ذلك العصر - عصر التادلي - منطقة واسعة بين دكالة وحاحا ومعظمها جنوبي وادي تانسيفت، يحدها البحر غربا، وتدخل فيها منطقة وادي شيشاوة، وتشمل جزءا على الأقل من منطقة متوكة الحالية التي مركزها بوابوض، ويستفاد من التشوف أن قاعدة ركراكة في عصر التادلي كانت هي أكوز، وكانت مرسى على البحر عند مصب تانسيفت، وقد نعتها المؤلف بقرية اكوز، ولكنه أشار إلى أنها كانت مقر العامل، وبها يجبي الخراج وكان بها سجن ومسجد جامع<sup>11</sup> فحسب النص فالقليم آسفي منطقة رجراجية، وبما انه كذلك فبه زوايا متعددة تأتي بثلاث منها كنماذج، دون أن نغفل التعرض للآخرات :

### 1-زاوية سيدي عيسى بوخابية :

تتنسب هذه الزاوية كما يدل عليه اسمها إلى الصحابي الشيخ عيسى بوخابية بن كويل بن حارث بن زياد بن أرتن، أخ الصحابي الشيخ سعيد السابق وأحد الصحابة السبعة وهو "رئيسهم في الحروب والحافظ لسجلاتهم، ويسمى بوخابية لأنه كان يصبغ ثياب المجاهدين، وهو جد رتفانة ومن معهم ومدفون عند شاطئ تانسيفت."<sup>12</sup> فالزاوية اكتست شخصيتها المحترمة وتقديرها من رئيسها ومؤسسها الذي أبلى في الحروب البرغواطية وفي غيرها البلاء الحسن، وكان له دوره الريادي في الدعوة للجهاد ونصرة الدين إضافة إلى سبقيته في الاسلام.

ونرى أن دور أحفاده وسمعتهم طغت على سمعته إلا ما كان من بقاء قبته مزاراة يفد إليها الناس للزيارة والتبرك، وهذا طبيعي، لتفرق الأحفاد هنا وهناك وسياحتهم في الأرض وتكوين زوايا أخرى بعيدة عن الأولى بمسافات قد تقل أو تكثر ولكنها خطفت الوهج نوعاما من الجدة الكبرى.



وهذا الشيخ هو أول من تبنى فيه (الخيمة)<sup>13</sup> الرجراجية بعدما تكون المواسم قد انطلقت بما يقارب الأسبوع، وانتقلت بين صلحاء لم يكونوا ضمن السبعة الوافدين على الرسول الكريم، وإنما هم من الأحفاد، فكانما الذين رتبوا سير هذه (الخيمة) وتنقلها فضلوا أن لا تبنى أول الدور إلا في صحلي، وكان هو المختار حسب النظم المتبع، ولا شك أن وراء ذلك أمرا لعله هذه الخطوة الجهادية والعمرية.

وثاني أمر كان وراء إخماد ذكر هذه الزاوية نوعا ما فيما نرى هو الاسم فمنطقتها المجاورة بدأت تعرف برتنانة وهي منطقة كبيرة ضمت عددا من البشر فقد نجد رسائل رسمية وظهائر سلطانية تتحدث عن الرتنانيين ولا تقول العيساويين أوالبوخابيين كالشان في الواسمينيين أوالسعديين أوالقرموديين.

وكان بالزاوية متصوفة وطلبة ورجال أخيار ومدرسة مهمة خبا وميضها ولم يعل لها ذكر إلا بمجيء رجل هو الشيخ الاستاذ عبد الله بن أحمد الحفيظ بن ناعوم التالمستي الرجراجي فأحياها بعلم القراءات وأدت دورا كبيرا سواء في حياته أو بعد موته سنة 1335هـ.

وكان لتنافس قواد الناحية يد حميدة في تالق هذه المدرسة، وكان القائد السيد عبد المالك المتوكي ممن لهم شغف بتلك المدرسة ويعينها بأموال طائلة، وكذلك القائد الانجد أحمد بن الطاهر الحاجي، والقائدان ولدا خبان الحاج الحسن والعربي رحم الله الجميع<sup>14</sup>.

وما تزال المدرسة وقد جدت وجدد مسجدها تؤدي دورها وبها الكثير من الطلبة يدرسون على العديد من أبناء الزاوية الذين أغلبهم أساتذة في القراءات والعلم أعرف منهم السادة : محمدا، عبد الله، أحمد، أبناء الشيخ عبد الحميد بن عبد الله الحفيظ، وابن عمهم الفقيه السيد حسن بن الشيخ عبد الرحمان الفقيه، وقد كان السيد حسن من فقهاء زاوية بن حميدة يدرس بها لطلبتها ولم يغادرها إلا مؤخرا.

إلا أنه لا بد من ملاحظة أن الصوفية التي كانت منهاجا ودينا لكثير من أحفاد سيدي عيسى إنما استمدوها منه بالدرجة الأولى ومن ذلك الأفق المحيط به.

ولا تبعد هذه الزاوية كثيرا عن صحابي آخر هو الشيخ عبد الله ادناس ولا عن رباط وقبة فقيه عالم متصوف شهد له الكثيرون بالخصوصية وقلوا عن رباطه إن كل قنطرة من قناطر مسجده حملها ولي من رجراجة، ذلك هو الشيخ اسحاق بن أبي ابراهيم الشهير الدفين قرب سيدي عيسى المذكور.

## 2- زاوية سيدي حسين (حساين)

هذا الصالح يسمى حساين مول البلب ولعله لوجود زاويته عند مصب نهر تانسيفت في البحر، ولقربه من الصويرية القديمة التي هي على مرأى البصر منه.

وهو من أحفاد الشيخ عيسى بوخابية إذ ينتسل من الفرع الأول من ثلاثة فروع وبينه وبين جده الأعلى تسعة أسماء، إذ هو حسين (احساين) بن عبد الرحمان - أبي زيد بن إلياس بن ابراهيم بن رشيد بن مصراف بن ياسين بن عبد الحكيم بن زيد بن

علي بن عيسى بوخابية<sup>17</sup> وكان أحد المرابطين المريرين برباط اكوز الشهير الذي لا يفصله عن زاويته إلا المسافة المانية المتمثلة في عرض النهر وقد أصبح هذا الرباط الآن خراباً، رغم أنه كان كما سبقت الإشارة إلى كلام التادلي قاعدة ركراكة ومرسأها المطل على البحر والمقر للعامل...

فإذا عرفنا أن القاضي التادلي مات ببلاد ركراكة سنة 627 أو 628 هـ وأن الشيخ احساين الرتناني كان من أهل القرن الثامن ادركنا اية صلة بينه وبين الرباط الذي كان ساعتهأ يؤدي دوره كاملاً من كل النواحي الدينية والصوفية والسلطوية والاقتصادية حتى إنه كان رنة تتنفس بها مدينة اغملت وما حولها ومدن أخرى كنفيس التي هي مدينة رجراجية. ورغم أن تعتيما ما يلف حياة هذا الولي، فقد عرف عنه أنه كان من المتصوفة الكبار، وأنه كان على الطريق الواضح، ولا عجب فسلسلته إلى جده هي الشبيهة بالتي تنعت في الحديث بالسلسلة الذهبية فوالده هو الشيخ الجليل عبد الرحمان أبو زيد دفين شوشاوة المعروف (بسيدي بوزيد) وقد كان من الكبراء، وترجم له غير واحد، وقد جاء في (المرآة والممتع) أنه "أقام بحرم الله عشرين سنة، وأخذ طريق التصوف عن أبي الفضل الهندي عن الشيخ عنوس عن أبي العباس القرافي عن أبي عبد الله المغربي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم، ومن طريقه تروى الطريقة الشاذلية، فالشيخ الكبير سيدي محمد بن سليمان الجزولي يرويها عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله أمغار الصغير عن أبي عثمان الهرتاني عن أبي زيد"<sup>18</sup> فهذا النص الغني يبين لنا من هو سيدي احساين ومن هو أبوه.

ومن عجيب أننا لا نجد زوايا كثيرة تناسلت من سيدي عيسى غير هاتين عكس الصحابة الآخرين الذين تناسلت منهم العشرات، وقد يكون لقربهم من البحر والسياحة فيه والاشتغال بالصيد والعمل اليومي دور ما، وما يزال حتى اليوم الصيد البحري من أهم ما يشتغل به الرتنانيون، وما يزال (الشابل) المصاد من واديهم من أذ أنواع السمك. على أن هذا لا ينفي أن هناك صلحاء وقضاة وفقهاء وسياسيين ورعاية من الدولة، وكان الفقيه الأديب الرقيق الشاعر البليغ الحجة علي بن محمد بن الحسين الرتناني المعروف بارتنو واحداً من كتّاب الديوان عند أحمد المنصور الذهبي ومن قواد جيشه، ومن شعره في بلب من أبواب قصر البديع بمراكش.

الحسن لفظ وهذا القصر معناه	يا ما أملح مرءاه واسناه
فهو البديع الذي راقى بدانعه	وطابق اسم له فيها مسماه
ضريح أقيمت على التقوى دعائه	ودل منه على التاريخ معناه
ولاح أيضاً وعين الحفظ تكلاه	تاريخه من تمام (قل هو الله) <sup>19</sup>

ولهذا السيد ظهير من المنصور مؤرخ ب 1014 من ضمنه : (لا تزال بحول الله وقوته احباس أرتنو ومحاريطه بمرسى أكوز بوادي تانسيفت ومن يرد على تلك الزاوية ويقصدها من الزائرين لأهل الله بسواحل رجراجة ، والظهير يبين حتى الحدود الواجب احترامها من دورة علي ابن عبد الله إلى بير واعزيز إلى دار خالد وعرق الرمل المعروف بلبيار إلى البحر، ومن جهة الشرق جلته الاسوار إلى المشرع وإلى الوالي"<sup>19</sup> ويظهر أن الأمر كان به نزاع بين المرابطين أنفسهم وبين من يجاورهم إذ ختم

الظهير هكذا "من يدعي شيئا في الأرض المذكورة يحضر به مجلس القضاة"<sup>120</sup>  
وجددت الظهائر الرثنانية على عهد مختلف السلاطين العلويين خاصة مولاي  
اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولاي الحسن الاول.

### 3- زاوية شاكر بن يعلا (سيدي شيكر)

يعرف الناس مقام شاكر وما حوله بالرباط لكثرة من كان يتعبد به من الرجال  
والنساء، ولكثرة من كان بمسجده من العلماء الإجلاء والفقهاء الذين لا يصل منهم  
منبره إلا الأحاد. وهو بن يعلى بن مصلين الرجراجي الصحابي، وهو تابعي كان مع  
عقبة بن نافع الفهري، وهناك رواية تقول بأن الصحابي الشيخ واسمين جمع بهذا المحل  
المصامدة ودعاهم إلى الإسلام فبقي من ذلك التاريخ معلمة للخير تفوح منها روائح  
الفدانية والبذل.

وكان له موسم رمضاني كل سنة يقصده العباد والمتصوفون من كل الانحاء وكان  
الشيخ أبو محمد صالح دفين أسفي من قاصديه المداومين، وله ترجمة تليق بأمثاله  
كتبها المتقدمون كاليوسي الذي نقل عن التشوف أن يعلى بن مصلين بناه أي الرباط -  
وكان يقاتل به برغواطة مرات، وأن طبله هو الباقي هناك وكذلك المتأخرون وهم كثرة.  
وقد ألف في الرباط وصاحبه الشيخ عبد الحي الكتاني كتابا بعنوان (رباط شاكر)  
ولخصه في مقالة نشرت بمجلة المغرب بعنوان (أشرف بقعة وأقدس بناحية مراكش)  
ومنها: "وقد قصت زيارة هذا الرباط عام 1341 وأقمت به مدة في ذلك البسيط الباهض  
على ضفة ذلك النهر المنهمر وقرأت دروسا في هذا المسجد العظيم المهول في بنائه  
الواسع في أكنافه الممتد صومعته تناطح "السحاب، وأملت فيه دروسا حديثة"<sup>121</sup>

وكانت الصلة وثيقة بين مدينة أغمات ونفيس بما تضمنانه من علماء وصوفية  
وبين رباط شاكر الذي هو من محيط مدينة نفيس والذي كان إشعاعه الصوفي قد امتد  
إلى كل الأرجاء. ولأحفاد شاكر بن يعلى زوايا متعددة أغلبها في إقليم الصويرة تتقدمها  
زاوية أبي خميس محمد بن أبي رزج (سيدي محمد بن مرووق) الرجل العظيم الذي  
قالوا عنه إنه كان من الأطواد وأنه لقي الخضر عليه السلام. وكان له في مقام الصوفية  
والإقبال على العبادة شأن وأي شأن، "وأقلم أبو محمد خميس نيفا وعشرين سنة لم ينم  
ليلا ولا نهارا إلا وقت وقوف الشمس"<sup>122</sup>

وليتصور المتصور هذه الحلقة من المتصوفة التي تبتدئ من شاكر إلى أبي عبد  
الله أمغار، إلى أبي محمد صالح، إلى إسحاق بن إبراهيم الرجراجي، إلى علي بن أبي علي  
الرجراجي إلى عيسى مول العهد الرجراجي بأربعاء النعيرات بالشيظمة إلى أبي خميس  
هذا إلى أغمات إلى نفيس فرباط شاكر، وما تضمنه داخلها من كمل الرجال وأكابر القوم،  
وليتصور هذه العلاقة بين كل هؤلاء وبين زاويتي أبي خميس وسيدي احساين ولد  
الصوفي الكبير سيدي أبي زيد شيخ الجزولي وما وهبت ومنحت وما طعمها به الجزولي  
بعين من مريدين وعباد، وليتصور ثلثة كل ما أضافه الشيخ عبد الله الغزواني لكل  
هذا، فقد وفد من فاس ليستقر بمراكش، وبقي عند قبر أبي زيد مدة ليريه للناس بعد

ما طمرته حوادث وأحداث ليتأكد أية صلة كانت تربطه بين كل هؤلاء أصولا وفروعا وأي حزام متين وأمني كانوا يقيمونه وأية صوفية كانوا يتبعونها، وفي موقف أبي خميس من الذين عملوا له تطوعا بدون أجر ما يعطي الدليل على صفاء نفوس هؤلاء القوم، ولقد عبر عن موقف أبي خميس هذا الشيخ أبو العباس بن عبد القادر التستاوتي في نزته.

خميس أبي أن يأكل الزرع إذ رأى \* من الناس قوما يحصدون بلا أجر.  
وكما نسل شاكراً من صوفيين وعباد فقد كان كذلك مقرءون وقضاة وأخيار منهم الفقيه القاضي السيد بوعزة وأخوه السيد عبد القادر بن قاسم قاضي أسفي والمتوفى سنة 1349 وهم من البومحمديين بدكالة على مقربة من سيدي أبي النور (بنور)، وقد أقام هذا الأخير دعوى شرعية على جيران سيدي شاكراً حتى منعهم من الفتوحات لأن تحت يده ظهائر ورسوم استحقوا بها حيازة ظهير جدهم والانساب تحاز بما تحاز به الاملاك شرعا، وفي العمليات الفلسية :  
ولبنيتهم صدقت الصالحين ثم لمحتاج بذاك يستعين<sup>124</sup>

### زوايا أخرى بالاقليم :

وهناك زوايا أخرى تجيء بعد التي ذكرنا وأهمها زاوية الشيخ محمد بن باعزي بجمعة سحيم، وقد نزل عبدة أيام الاحتلال البرتغالي لشاطئ أسفي، ولاشك أنه جاهد ثم رابط بمكان زاويته إلى أن توفي بها.  
ولهذه الزاوية علاقة مع الباعزيين والبطريطشيين أحفاد سيدي سعيد السابق بالشياطمة لأنهم أبناء عمومة لهم، كما لهم علاقات كبيرة مع زاوية بن حميدة السعيدية خاصة مع الفقيه الشيخ عبد الله السعيد الرجراجي المقدم مؤلف كتاب (السيف المسلول)، وبين الجانبين مصاهرة أثمرت حلوا نشأت حينما كان الفقيه المذكور منفيا بعبدة من سنة 1945 إلى الاستقلال من أجل قضية المغرب الكبرى.  
ولقد كان الخليفة الحافظي الشافعي يقبض المغارم من أبناء هذه الزاوية فمنعه نقيب رجراجة الشيخ البشير جدنا طيب الله ثراه، كما منع جميع من ينتسب لهذه الطائفة من المغارم<sup>125</sup>

وهناك زاوية سيدي أبي الشتاء البطريطشي السعيد الرجراجي، وهو ولي صالح، وبدر أيام لانح، نزل عبدة في القرن الثاني عشر الهجري وأحفاده الآن يذهبون أيام المواسم الرجراجية لجدهم الأعلى. وقد كان القائد عيسى بن عمر العبيدي استبد بهم وبالمليجيين آل آبير، وأراد أن يسلكهم في سلك العامة فلم يأت له ذلك لشكوى رفعها مقدم رجراجة السالف الذكر للسلطان مولاي الحسن الأول فأنصفهم منه، ولكن الانتقام جاء في ناحية أخرى.

أما زاوية الشيخ سعيد بوغنبور بالبروكات وأولاد سي بوبكر فينتسبون للصحابي الشيخ سيدي أبي بكر أشماس المدفون بالزاوية القرمودية بالشياطمة. لقيه الشيخ اليوسي سنة 1095هـ وذكره في آخر المحاضرات وتبرك به.

أما زوايا الكرغان والغرانر وأبي البركات فتنتسب للصحابي سيدي واسمين وكان

بها رجال وعلماء أخيار تعرض لهم صاحب السيف المسلول، وصاحب الجواهر الصفية الفقيه محمد بن أحمد العبدى الكانوني.

وبالشهالي فرقة من الواسمينيين تعرف بأولاد بن سليمان أشهرهم الفقيه محمد بن سليمان قاضي أسفي وعبد المتوفى سنة 1314، وولده الفقيه نائب القاضي أبو حفص عمر. وبداخل مدينة أسفي يوجد العديد من الاضرحة لصلحاء رجراجيين من بينهم سيدي واصل وبه عرفت الزاوية المشهورة، وسيدي عبد الكريم وتسمت به إحدى حومات المدينة بجماعة بياضة، وسيدي محمد الرجراجي يقام عليه موسم صيفي سنوي، وسيدي عبد الرحمان بن أبي ابراهيم، وهو من أهل القرن السادس وضريحه بباب الشعبة، وقد قال فيه القاضي العلامة محمد بن عبد العزيز الأندلسي الأسفي قصيدة تربو على الثلاثين بيتاً منها :

يا طالب الفضل فعرج على	أبي زيد التقى الهمام
واستمطر الامناح من بابه	فعابد الرحمان سر الغمام
كم أسفرت طلعة إحسانه	بمبتغ الإحسان دون لثام
وفرج الله به أزمة	من بعدما كانت كجنح الظلام

كما كانت للصوفي الكبير الشيخ علي بن أبي علي زاوية كبيرة تضارع رباط أبي محمد صالح خربها البرتغال حينما ابتليت بهم المدينة...

والملاحظ أن خطأ رقيقاً من الاخلاق الجيدة والتدين المتين والتحلي بالفضيلة كثيراً ما ينتظم هذه الزوايا والساكنين بها ولو لم يكن أصلهم رجراجياً رغم ضمور ادائها العملي، ورغم محاربة الاستعمار لها، ورغم كونها ركنت إلى الظل بسبب ما هجم به العصر الحديث من محاربة لكل معلم مضيء.

وعسى أن تتاج الفرصة لتفصيل أكثر فإن الحيز المخصص لا يسمح بأكثر من هذا.

## هوامش الفصل الثامن

103 - مجلة أمل عدد: 20/19 سنة 2000

104 - المجلة المغربية لعلم الاجتماع السشيلسي (مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي / مساهمة في لتكوين) س1ع1 دجنبر 1986.

105 - هم : 1- واسمين بن يعزى بن مهدي بن اسماعيل بن مروان بن علقمة مدفون بجبل الحديد -

2- أبو بكر المدعو أشملى بن عكرمة بن غيين بن أبي خابية بن أمج وضريحه بأقرمود. -3- ولده

صالح قيل إنه مدفون مع والده. -4- عبد الله الملقب بادناس ابن عامر بن دأنم بن مجاهد بن

ارتن، مدفون ببلاد التوابيت قرب بوخابية. -5- عيسى بوخابية بن كويهل بن حارث بن زيد بن

ارتن مدفون عند شاطئ تانسيفت -6- يعلى بن واطل بنمصلين، المدفون - برباط شاكرو. -7-

سعيد السابق المكنى ببقى بن كويهل بن حارث وهو أخ لأبي خابية. مدفون بطالعة الشياظمة

بقبيلة العساسعة / الموارد على مشارف حدود قبيلتي الشياظمة ومتوكة عن السعيدى عبد

الله بتصرف - السيف المسلول لسنة 1987-1407 (ص3/4) شركة الطبع والنشر - البيضاء

106 - عمليا بداية الدور هو يوم الخميس ولكن الرسمي هو يوم الجمعة، أما سابقه فيسمى (الصفية)

ولعله كن الصفاء أو الصفوة فحرف بالاستعمال عن طريق العامة وكأنه تهيئ للذي يليه وهكذا



- في كل أيام الدور.
- 107- المجلة المغربية لعلم الاجتماع السيلسي، مرجع سابق ص. 17.
- 108- السيف المسلول مرجع سابق 1 ص 31
- 109- المجلة المغربية لعلم الاجتماع السيلسي، مرجع سابق، ص. 17.
- 110 - مقدمة التشوف لابي يعقوب بن يوسف التلالي تحقيق: التوفيق ا. ص 34، 1404-1984 كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط (نصوص ووثائق).
- 111 - نفس المرجع، ص 24.
- 112- السيف المسلول ج1 ص 17
- 113- الخيمة فسطاط ليفي احمر، كان يقدمه بعض القواد، اما الآن فيجدد كل سنة او سنتين بمبادرات شخصية، تبني ويجلس فيها الرجراجيون للقراءة والذكر وتلقي الفتوحات وترجع لمكانها بزاوية بن حميدة حال ما ينتهي الدور وهي عندهم من المقدسات.
- 114- السيف المسلول ج: 2، ص: 276
- 115- حسب رسم مؤرخ ب 997 هـ اخذت منه نسخة بتاريخ قعدة الحرام متم 1100
- 116- السيف المسلول ج: 2 ص 255 ترجمة لبي زيد .
- 117- نفسه.
- 118- السيف المسلول ج 2 ص: 283
- 119- نفسه.
- 120- نفس المرجع عن مجلة المغرب س: 5 ج 2 1336 هـ
- 121- السيف المسلول ج 2 ص 283
- 122- نفس المرجع عن مجلة المغرب س: 5 ج، 2 1336 هـ
- 123- مجلة المغرب س 5، ج 2 1336 هـ.
- 124- السيف المسلول، ج 2، ص: 314 و 238
- 125- نفس المرجع.



## الفصل التاسع

- 1- التأثير الاقتصادي الرجراجي في الناحية<sup>16</sup>
- 2 - مقدمو رجـراجـة و علاقـتهم بالسلطـات المـركـزيـة<sup>17</sup>

### استهلال

في ندوة كهذه محدودة في الزمان و المكان ، و محدودة في التوقيت و الكلام، و نظرا لوفرة المواد و تشعب الموضوع، فلا أجد مندوحة من الاختصار الشديد في القول و التحليل.

و جمعية اكوزرتنانة، و هي جمعية رجـراجـية قلبا وقلبا، إذ تقيم هذه الندوة-مشكورة- فهي تبين عن الحس التاريخي الذي يحرك القائمين عليها و الهم الذي يؤرقهم جراء إهمال بليد طال رجـراجـة و تاريخهم و ضمنه طبعا زاويتهم الرتنانية الكريمة التي لا يخلها ذكرها ولا تاريخها و لا مشاركتها في الحياة من قديم.

**عصر الأمة و الدولة:** و منذ وفود الرجال السبعة الرجـراجـيين على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حقق ذلك كثير من الأعلام ، و منذ توالي الولاة من الشرق على المغرب، و منذ تكونت دولة الادارسة التي انقضت بسبب الصراع المرير بين قوى مختلفة ساعتها، فإن المغرب لم يدخل عصر الأمة و الدولة المسؤولة عن نفسها و عن غيرها الضاربة في أعماق الحضارة بلسمهم، الناشرة لواء الأمن و التسامح إلا في أيام المرابطين الذين ركزوا أسس الدولة و تمتين بنيانها و من ذلك الاقتصاد. و طبيعي ، فإن أي اقتصاد لن يزدهر و يتقدم إلا إذا توافرت له مقومات ومرتكزات منها:

- الاستقرار السياسي و الأمني.
  - العنصر البشري النشط الموفر ليد عاملة مستجيبة.
  - السوق المحلي و الخارجي المدعوم بثقة في الإنتاج و جودة في المعاملة.
- فما حظ بلاد رجـراجـة من كل هذا؟
- وما هي مساهماتها في تسيير عجلة اقتصاد البلاد ككل؟
- لا نريد القول بأن الاقتصاد الرجراجي كان بالغا الغاية في التقدم و القوة، ولكن إذا نظرنا إليه من خلال الظرف و الإقليم و السلط التي لم تكن تنظر إلى الرجـراجـيين بعين الاطمئنان حتى لا نقول المودة وجدناه أحسن من غيره و في غاية من الاستقرار و التوهج، و مرد ذلك في نظرنا إلى:
- إن بلاد رجـراجـة كفضاء بين حاحا و تامسنا قبل أن تنقلص - مرورا ببعض بلاد متوكة و الحوز جعلها بلاد فاعلة في غيرها و منفعة به من الجنوب إلى الشمال
  - إن رقعتها الفسيحة المتنوعة مكنتها من استيعاب كثير من البشر الذي نوع

التجربة و أفسح المجال لمواهب مختلفة.  
- كونها في موقع لا يستغني عنه المتنقل عبر أنحاء البلاد.  
- انها مهد للعديد من الرباطات الصوفية و الدعوات الإصلاحية و السير على مقتضى الدين و الاخلاق و المروءة (أكوز-شاكر-سيدي إسحاق-سيدي علي بن علي) إضافة إلى مزارات الصحابة السبعة رضي الله عنهم.  
هذه العناصر و غيرها صبت في جداول الاقتصاد الرجراجي ليغدو نشيطا متأثرا و مؤثرا

## مرتكزات:

فما هي مرتكزاته؟

من خلال النتف التي تركها البكري و الإدريسي و ابن سعيد و غيرهم و التي لم تكن مقصودة لذاتها، و إنما جاءت عرضا وفق ما كانت عليه الأمور حيث كان التاريخ الرسمي هو المهتم به، و من خلال بعض الدراسات العصرية التي تحاول فك رموز المرحلة و تداعياتها، يمكن القول: إن الاقتصاد الرجراجي انبنى على :

### أ-المجال الفلاحي الذي اعتمد على:

- 1 - الحبوب المختلفة: القمح و الشعير و القطنيات و قد كانت تباع بثمان بخس حتى إن الدرهم الواحد كان كافيا لابتياح جميع ما يحتاج إليه المرء من سلع و أدوات، و إن يوم سوق اغمات كانت تذبح فيه مائة من البقر و ألف من الغنم<sup>128</sup>
- 2 - الكروم، و كانت تمتد مساحتها على تلال الريف و ساحل دكالة و تلال الشياظمة و السوس، و عنب نفيس "المدينة الرجراجية" أجود أنواع العنب، و كان المفضل في الوجبات بالقصور داخل المغرب أو خارجه و مرباه مشهورا و لا تخلو منه ملندة.<sup>129</sup>

وتبعاً لوفرة العنب ، كان هناك نوع من الشراب يسمى (الروب) يستخرجه الأهالي و كان منتشرا كثيرا في بلاد السوس و مراكش، و بما أن الجوار يعدي فلا بد أن تكون ناحيتنا أخذت نصيبها ، و قد أصدر الموحدون في حقه منعا من حين لآخر انسجاما مع دعوتهم، فقد كان المهدي بن تومرت كما هو معروف قد أخذ على المرابطين شربهم الخمر من جملة المطاعين ضدهم، دون أن نفعل عنصر الدعاية و الإثارة.

و نعتقد أنه لم تكن له تلك الخطورة التي تذهب بالعقل و تخدر الحس و تعقد اللسان و تعطل الملكات و المواهب لأن العلماء الكبار بدورهم كانوا يتعاطونه.

- 3 - الزياتين، و كانت منتشرة بكثرة ولها معاصر يفيض زيتها على الحاجة المحلية فتغدق على النواحي الأخرى، و ما تزال الزياتين و الكروم من أهم ما تنتجه الناحية لحد الآن

ب-المجال الصناعي: وهذا المجال نوعان:

1) النوع الذي نسميه الآن الفلاحة الصناعية و تجلى في معامل السكر بالسوس وبلاد رجراجة بعدها بعضهم في الإطلاق العام من السوس-وكان معتمدا على ري منظم من سدود بناها الموحدون، وهذا السكر كما يقول الزهري في القرن السادس كان يصدر إلى أوروبا ويشحن إلى إفريقية-تونس-وقشتالة و بلاد الروم-قسطنطينة وبلاد الغال فرنسا<sup>129</sup>

2) النوع الذي اعتمد بالدرجة الاولى على المعامل اليدوية الخشبية بما فيها من براعة وإتقان، و كان يسد الفراغ في ناحية الملابس، و بلاد رجراجة كانت في القرنين الخامس والسادس الهجريين المصدر الاول لثياب النساء الرفيعة، و كانت قصور العاصمة مراکش بله بقية الإمبراطورية بما فيها الأندلس و المغرب الاوسط و الأدنى معتمدة عليها، بل إنها كانت تجارة رابحة مع دول أخرى كمصر و الشرق العربي و السودان و الاقطار الافريقية ، كما ان الناحية كانت مصدرا لاستعمال الزينة و منها معالجة الشعر المعتمدة على اشجار اركان الموجودة بكثرة.

و قد ساعد على كل هذا اليد العاملة المتخصصة و المتوفرة، فإن سكان الريف ساعدها قدروا بما يفوق الاربعة ملايين و نصفاً.

و يظهر أن الدولة و قتها كانت لها سياسة نشيطة و مضبوطة فيما يخص قطاع الملابس، إذ قسمت البلاد إلى مناطق ثلاث.

-تادلة للأقمشة القطنية.

-سبتة و فاس للحريرية.

-سوس للصوفية.

و لم يحصل كل هذا طبعا إلا بعد استقرار الناحية و ضمان أمن مستتب بين الدولة و المواطنين حيث كانت الثقة بين الموحدين ورجراجة يشوبها الكثير من الاهتزاز يقول المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون: " خرج من سوس ثائر من سوقة سلا يعرف محمد بن عبد الله بن هود، و تلقب بالهادي، و ظهر في رباط ماسة، فانصرفت إليه وجوه الاغمار من كل الآفاق، و أخذ بدعوته أهل سجلماسة و درعة و قبائل دكالة و ركراكة و قبائل تامسنا و هواره فسرع إليه عبد المومن عسكريا من الموحدين"<sup>130</sup>

"و مهما كان الامر ، فإن الثورة اشتغلت من 1147/1149م، من الشمال إلى الجنوب سواء في حاحا أو لدى ركراكة ودكالة، و كان قمع الثورة رهيبا، فقد دخلت جيوش الموحدين في حرب عاقبت خلالها بالتتابع ركراكة و دكالة و هسكورة و منطقة تادلة، ومع ذلك فإن هذه الحملات التأديبية لم تبد في أعين عبد المومن كافية، و لذلك قرر من أجل إرساء سيطرته و إرساء الإيمان بعقيدة التوحيد القيام بعملية تطهير شاسعة، فبناء على لوائح مهياة مسبقا بعناية، تم ببرودة إعدام 37720 ضحية من بين أعيان ساكنة مصمودة السهل مما جعل حدا لكل إمكانات خارجية للنهوض من جديد"<sup>131</sup>

فهل ما وقع لرجراجة يعد ثمنا لتقاعسهم عن مناصرة المرابطين؟

و هل موقفهم هذا هو ثمن كذلك لموقف المرابطين منهم حيث أخضعوهم بسرعة



و قسوة قبل ان يتوجهوا إلى تلمسنا؟

### ح- المجال التجاري:

و في المجال التجاري نجد ان الناحية كانت ملتقى للقوافل القادمة من اغمت و نفيس و الرانحة لها والذاهبة إلى السوس و الشمال، و اهل اغمت المدينة التي كانت تتنفس برنثي اكوز كانوا: " هواره من قبائل البربر المتبريرين بالمجاورة، و هم املياء تجار ميلسير، يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد من الجمال الحاملة لقناطر الاموال من النحلس الاحمر و الملون، و الاكيسة و ثيلب الصوف و العمانم و المآزر و صنوف النظم من الزجاج و الاصداف و الاحجار و ضروب من الافلويه و العطر و آلات الحديد المصنوع، و ما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم المائة جمل و السبعون و الثمانون جملا كلها موقرة"<sup>132</sup>.

و نفيس بدورها: " مدينة صغيرة حولها عمارات و طوائف من قبائلها المنسوبين إليها، و بها الحنطة و الفواكه و اللحوم مالا يكون في كثير من البلاد غيرها، و بها جامع مع سوق نافقة، و بها من انواع الزبيب كل عجيبة من جمال المنظر و حلاوة النوق و كبر المقدار، وهو مع ذلك كثير جدا، مشهور في بلاد المغرب الاقصى"<sup>133</sup>.

وقد تعزز الدور الاقتصادي الرجراجي ببناء احمد المنصور الذهبي بشيشاوة أحد اهم المعامل السكرية بالمغرب الإسلامي حتى كان سكره يقايش بالرخام و الذهب، كما بنى معملا آخر مجاورا، بحاحا لنفس الغرض، و كذلك ببناء مدينة الصويرة من قبل السلطان سيدي محمد بن عبد الله فاغنت الناحية عن كثير من المدن... و ايضا معمل مولاي الحسن الاول السكري بإذا اكرض، و ما تزال اطلاله شاهدة على عظمتة و قد زرته سنة 1984 فحصلت على بعض المعلومات عنه منها،

-إن الماء الذي كان بالمعمل يجيء من عين إرغن (أيت واطل) البعيدة ب ١٥ كلم تقريبا، و يستعمل في سقي قصب السكر .

-الصهريج مربع 4900م<sup>2</sup>، وارتفاعه متران و سعته 9800م<sup>3</sup> تقريبا .

تلك وقفت قصار نامل ان تتلوها آخر للتوسع في موضوع مهم جدا هو الاقتصاد

الرجراجي .

## مقدمو رجراجة و علاقتهم بالسلطات المركزية

### مدخل:

هل لرجراجة توجه سيليبي او طمع في الملك؟

واذا لم يكن فما هي علاقتهم بالدول التي تعلقت على حكم المغرب؟

ونستطيع القول انهم لم يكونوا طامعين لا في ملك ولا في سيادة سيليبي ولا تطلعوا إليها، ولو شاء وهما لكانوا محرزين، فإن كثيرين ممن تولوا إمارات و حكموا نواحي لم يكونوا لا في قوتهم ولا سمعتهم، وذلك لان القوم كانوا متوجهين وجهة أخرى هي النيب عن الإسلام والعمل على نشر مبادئه وتجديد فرائضه والانخراط في الجهاد

بغاية النصر أو الشهادة، وليس عجيبا أن نجد العشرات من القباب الرجراجية من طنجة حتى لكويرة تنسب للمتصوفين والعلماء والطلبة والمجاهدين والقضاة والأئمة والمحسنين ولا نجد واحدة تنسب لثائر معروف ولا مدع للحكم ولا مطالب بالعرش. وليس جديدا الآن أن المرابطين ما كانوا ليؤسسوا دولتهم بالسرعة المعروفة وينتصروا ويسودوا لولا رجراجة الذين كانت لهم - خاصة في الجنوب رباطات وشخصيات مهدت النفوس والشخوص لتقبل الدولة الجديدة و الوقوف بجانبها و العمل معها على إفشال مؤامرات ممالك وإمارات ودعايات وتطاحنات خربت المغرب و كادت أن تقضي عليه بالمرة.

وليس قولنا هذا استخفافا بالقوة المرابطية و لاتنقيصا من جهودها ولا محاولة لإخفاء وهجيتها ونضاليتها، و لا تشكيكا فيما قدمته لهذه البلاد و غيرها من الاقطار الإسلامية، وإنما لأن الدول لا تقوم بين عشية وضحاها، و الإحساس بالآلم والتردي لا ينبت كما تنبت الأعشاب ما لم تكن جهود مسبقة قد مهدت الطريق و ذلت الصعب و فتحت الأعين و كانت في المقدمة لتبرز حركة دينية انتشر شعاعها واشعاعها. فهذه الحركات الدينية و السياسية الكبرى خرجت من دعم رباطات الجهة، و أعطت للتاريخ المغربي زخما كبيرا و كان لقبيلة رجراجة دور ريادي في نشأة الرباطات و العمل على انتشارها في عدد من المناطق المغربية، و كان لها بالتالي دور هام في صنع التاريخ المغربي في العصر الوسيط و بداية العصر الحديث<sup>134</sup>

### رجراجة و الدول المتعاقبة:

لا نريد القيهان في التاريخ لنسرد أحداثه و جزئياته فذلك له مظلته و لكننا نشير إلى بعض النقاط في عجالة كبيرة.

فبالنسبة للإدارة فقد أزرهم الرجراجيون مؤازرة تامة، ووقفوا بجانبهم و كانوا في جيشهم و هم يحاربون ضد التفسخ الخلقي و الانحلال الديني كما كانت لهم مواجهات عديدة مع البرغواطيين تعرضنا لها في غير هذا التدخل ولقد أصابهم من الأسى والإذابة ما أصاب الشرفاء الإدارة على يد أعدائهم من مغراوة و أمويين، و فقد الرجراجيون الكثير من رجالاتهم، و في كل ناحية العدد العديد من الذين استشهدوا أو ممن اختاروا البقاء و العيش هناك.

ولقد تعرضنا سابقا للمرابطين و الموحيدين إلى أن هؤلاء الأخيرين كانوا أشد وطأة على الرجراجيين الذين لم يعودوا يذكرون (خلال العهد الموحيدي في المصادر الإخبارية إلا بمناسبة ذكرى الجباية، مما يعني أنها كانت تدر على بيت مال الموحيدين أموال هامة من خراجها)<sup>135</sup>

وهذا يؤكد ما قلناه قبلنا عن الاقتصاد الرجراجي و توسعه و قوته.

ولكن لم ثار الرجراجيون على الموحيدين؟

أراجع ذلك إلى تضامنتهم مع القبائل الأخرى المصمودية؟

أم أنهم رأوهم مفتصين للسلطة الشرعية المرابطية رغم ما بينهم و بينها؟

أم أن لتعارض مذهبيهما المالكي و الشيعي تدخلا في ذلك؟

### علاقة ممتازة:

و حينما تلقى نظرة على تعامل المرينيين مع رجاجة نجده متزنا جيدا بل في عهدهم جمع شتات الرجراجيين في قصة تعرض لها صاحب كتاب السيف المسلول بل أن رجاجة كما في الحل الموشية كانوا أول من بايع المرينيين . المهم أن علاقات رجاجة بالمرينيين كانت جد ممتازة و متميزة، و حسب علمنا فإن أقدم ظهور لدى الرجراجيين يرجع لأيام أبي الحسن المريني بزاوية سيدي سعيد السابق الصلبي<sup>137</sup>

و يحمل العهد الوطاسي للمغرب مشاكل عديدة من ضعف في السلطة و قضاء على الإسلام بالاندلس ، ثم استيلاء الاسبان على العديد من الثغور و المناطق الإسلامية المغربية الأمر الذي تطلب من الشعب كله أن يهب للدفاع ، و قد كان الرجراجيون في المقدمة فإنه في سنة 921هـ بلغ عدد مقاتلي رجاجة رغم تناقص مساحة بلادهم 12000 مقاتلا أي عشر سكانها و هو 120000 حسب مقاييس التجنيد ساعته.

### و مع الشرفاء: السعديين و العلويين:

من أول يوم كان الرجراجيون حلفاء للسعديين و مسؤولين عنهم، فقد ساهموا في قدومهم من السوس وسلمهم السلطة في شخص أبي عبد اله القانم السعدي وولده و قد حفظ التاريخ أنهما نزلا بأفوغال المنطقة الكراكية و ظلا يقاتلان ويجاهدان في العدو إلى أن استشهد الوالد سنة 923هـ / 1517م ، ليخلفه الولد قبل أن يدخل مدينة مراكش بعد ذلك.

فعلاقة الرجراجيين بالسعديين كانت أكثر من ممتازة خاصة في عهد أحمد المنصور الذهبي الذي كان من بين وزرائه وقضاته رجال من رجاجة، ولم تسو العلاقة بينهم إلا في خضم المحنة التي اشتعل أوارها بعد موت المنصور بين أبنائه و أحفاده، وقد جهز محمد الشيخ الأصغر بن زيدان جيشا وقصد به رجاجة كما في نزهة الحادي (وشق عليه العصا أيضا قبيلة الشياظمة فقصدهم و كانت الملاقاة عند جبل الحديد فهزم هزيمة شنعاء.

فلم شقوا عليه العصا؟

ولم انهزم هزيمة شنعاء؟

الجواب نجده في أكثر من تحليل، و لكن هذه الهزيمة -في عرف بعضهم- هي التي كانت وراء تكوين سبعة رجال آخرين عرب يقصدون للزيارة لإضعاف رجال رجاجة و إذا انتقلنا إلى الدولة العلوية وجدنا علاقاتها و تعاملها مع كل الزوايا الرجراجية و ساكنيها علاقة فيها الكثير من الاحترام و التقدير سواء من الرجراجيين الذين ظلوا على ولائهم أو من الملوك الذين كان لهم اعتناء خاص بهذه الشريحة من المجتمع حتى

كان سيدي محمد بن عبد الله يسميهم (أهل الجناح الأبيض). ورغم أن مولاي إسماعيل هو الذي كان عمليا وراء خلق سبعة رجال بمراكش جريا على سياسة في تقليد أظافر كل من يعتقد فيه تهديد للدولة، فإنه هو نفسه الذي أكرمهم وحبس على بعض صلحائهم الكثير من الأملاك خاصة سيدي واسمين و سيدي سعيد السابق في ظهائر ما يزال أحفادهما يفخرن بها.

### ظاهرة التقديم:

لقب المقدم جديد في قاموس الزوايا الرجراجية حسب علمنا لم يظهر إلا بأخرة و إنما كان يشار للساهر على شؤونهم بالأمين أو الطالب إن كان من أصحاب الفقه وكذلك الأمر بالنسبة للزوايا التي لم تأخذ هذا النعت إلا في عهد المرينيين بدفع منهم و إنما كانت تعرف بالرباطات<sup>139</sup>

و الظاهرة في مجملها العام تعني أن فردا يتقدم أفرادا يوطرهم في شأنهم الديني و يترأس أذكاهم ويحافظ على مصالحهم عند الاقتضاء، ويرجعون إليه إذا حزبهم أمر من الأمور، ولكن في مجملها الخاص يكمن في شيء آخر، فقد كان لكل زاوية مقدمها وهي تفوق الثلاثين، و معنى هذا أن هناك ثلاثين مقدا بثلاثين رأيا وثلاثين موقفا ومما لا يحصى من الاتباع وتابعي الاتباع، فكان لا بد في التفكير في حل يؤسس لجمع هؤلاء المقدمين تحت سلطة واحدة ويوحد الكلمة بما يتوفر عليه من صفات وفضائل.

وأول مقدم عام لرجراجة هو الشيخ محمد بن أحميدة المؤسس لزوايته بجنان الرمان وقد ولاه التقديم المولى إسماعيل وأصدر بذلك ظهيرا شريفا جدد سنة 1128 هـ جاء فيه بعد الحمد لـ و التصليّة: "محو من جراء الطي" محبنا السيد محمد ابن أحميدة الرجراجي، يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته أننا جددنا له حكم ما بيده من ظهائرنا الشريفة العلوية على كافة جميع إخوانه من جميع زوايا رجراجة أين ما كانوا، إذ هو كبيرهم و مقدمهم و متولي أمرهم، و أسندنا إليه النظر في حكم زوايا رجراجة بحيث لا يخالف أحد أمره فيهم كأننا من كان و عليهم هم بالسمع والطاعة والإنصات لكلامه فيهم، إذ هو القائم بأمور مصالح زواياهم و تصرفاتهم و أحكامهم وقد أمرناه أن يقبض زكاتهم و أعشارهم من أقويانهم ويردها على ضعفائهم و مساكينهم و عليه بتقوى الله العظيم في السر والعلانية و مراقبة قول النبي صلى الله عليه و سلم: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارق به، و من ولي من أمتي شيئا فشقق عليهم فاشقق عليه، و دعوة النبي صلى الله عليه و سلم مستجابة، تجديدًا تامًا و حسب الواقع عليه يعمل به والسلام، وكتب في الثاني والعشرين من رجب الفرد عام ثمانية وعشرين ومائة و ألف.

و لتولي هذا الشيخ الفقيه الصوفي صاحب سيدي أحمد بن ناصر الدرعي التقديم قصة هي في السيف المسلول و الفتوحات الربانية، و الذي يهمننا هنا هو:

- إرجاع الدور (المواسم) إلى معهوده بعد توقيف دام خمس سنوات بعد أخذ ورد بين علماء فاس أنفسهم وعلماء مراكش حول الصحبة التي انتصر لها آخرون.
- تعيين مقدم عام لرجراجة تام المسؤولية و تام السلطة فيما يخص الرجراجيين

وممثلا لهم سواء أمام السلطات العليا أو المحلية.

- وهذا التعيين الإسماعيلي ثم بظهير شريف ظل يتجدد من مختلف السلاطين لمختلف المقدمين من زاوية بن حميد بن أبي سنة 1320 هـ سنة وفاة المقدم الشيخ البشير ابن علي الذي كان يدعو المولى الحسن الأول مرة بالمقدم وأخرى بالأمين، و كان هو المقدم الثامن في ترتيب المقدمين من عهده إلى العهد الإسماعيلي.

- الظهير السلطاني للمقدم حد من سلطة المتولين فلم يبق في الغالب استبداد لعامل يسبب الفوضى والقلق.

- بسبب كل هذا تبلور دور رجراجة في عهد الدولة العلوية أكثر من أي وقت مضى خاصة بعد أن أصبح لهم مقدمان بعد سنة 1270، حيث أصبح المقدم التالمسي - رغم أنه شريف إدريسي يشارك المقدم الرجراجي في بعض مهامه، وذلك لظروف اقتضته بعد هرج و مرج بالزوايا الرجراجية التي تآثرت بما وقع في الحوز بعد هزيمة المولى عبد الرحمان من قبل الأداة، فطلب مقدم زاوية بن حميدة السيد أحمد بن علي من عامل الوقت أن يسمح للسيد عبد الواسع التالمستي بمساعدته مؤقتا ريثما ترجع المياه إلى مجاريها، وبعد ما استتب الأمر وقدم السلطان طلب المقدم السيد أحمد أن يكون السيد عبد الواسع مقدما بظهير فاستجيب له.

### دور فوق العادة.

و من هذا المنطلق أصبح للمقدم فوق دوره المعروف دور آخر : ديني /سياسي / اجتماعي /اقتصادي / وهو ما حدده الظهير المتقدم، و غدا المقدم ركيزة مهمة من ركائز النظم سواء في مراقبة العمال أو في الصلح بين القبائل أو في مراعاة حقوق الناس مع المخزن إذ كثيرا ما يتوسط بينهم وبينه لجلب منفعة أو دفع مضرة.

ومن هذا المنطلق كذلك خضعت تولية المقدم لشروط منها النزاهة - العلم - التدن - المروءة - الجرأة حسن السلوك - الأمانة - الثقة - الوقوف مع الحق - الدفاع عن الرجراجيين باستماتة، و لذلك كثيرا ما اصطلم المقدم بالمتولين والعمال الذين لم يكونوا يراعون إلا ولا ذمة في سكان الزوايا الشيء الذي اضطر المقدمين لتقديم شكايات للدوائر العليا فينصفون، ولو حاولنا الإتيان ببعض ما تعرضت له الزوايا على يد كثير من العمال كعبد الرحمان بن ناصر و بو جمعة التلاوي و الشافعي و الحافظي و خبان و الأكرمي و المتوكي و عيسى بن عمر لطال بنا المقام... ولكننا نأتي بظهيرين اثنين لمولاي الحسن الأول كدليل على ما سبق أن رددناه.

1 - جاء في الظهير الأول بعد الحمدلة و التصلية و الطابع الشريف:

خديمتنا الأرضي المقدم الطالب البشير الرجراجي وفقك الله و السلام عليك و رحمة الله و بركاته، وبعد، فقد اشتكى باعتبارنا الشريفة المقيدون بالطرة يمنته من الشياظمة (المحجوب بن الحاج الطاهر المدرعي، مبارك بن عامر النسب، عمر بن أحمد النسب، أحمد بن إبراهيم النسب، أن الأمين مبارك بن عب المدرعي و أخاه الشيخ الركراكي كانا قبضا على الأول في دارهما و نهبا له جميع حوائج داره و بهائمه حسبما

بزمـام في يده ، وقبضا على الثاني و اودعاه السجن و نهـب له الرـكـراكي بهائمه وزيته و جميع حوائج داره ولم يسـرحه حتى أعطى خمسين ريالا و قبضا على الثالث حتى أخذـا من عنده خمسة عشر ريالا و جعلاه بسجن العامل حتى قبض منه خليفته خمسة عشر أخرى ، و نهـب له الامين المذكور غلة عرصته كما اشتكى الرابع أن الرـكـراكي المذكور قبض عليه و أخذ منه مرة سبعين ريالا و مرة أخرى ثمانين ريالا و كمية مفضضة و اربعة رؤوس من البقر و مكحلتين و كذبهم الامين المذكور مع عاملهم القائد مبارك بن الرـكـراكي ، فنامرك بالبحث عن حقيقة هذه القضية و إعلامنا بالواقع فيها فإنه لا يخفى عليكم لـمكان جواركم لهم واتصالكم بهم و السلام في 7 صفر سنة 1307هـ<sup>11</sup>

2 - وجاء في الظهير الثاني بعد الحمدلة و التـصـلية و الطلـبـع:

خدـيـمـينا الارضين الامـيـنين الطالب الهاشمي و الطالب البشير الرجـراجـي وفقـكما الله و سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فقد وصلنا كتبكم فيما فعلاه الشيخان السـكـياطيـان من التعدي على فدان الفقيه كاتبكم السيد محمد بن عمر النسب فأخذ كته غصبا و ارادا قبض اصحابه ففروا (كذا)

نحن كتبنا لـعاملهما بان يكتب (كذا) بإلزام الشيخين ان يرـدا متاع الفقيه المذكور و ان ينكفـا عنه وعن اصحابه و السلام في شعبان الأبرك عام 1298

انحدار في مهمة المقدم:

وليس المقدم الاول وحده و إنما كل مقدمي الزوايا الأخرى حيث فشا الجهل و طغت المصالح و تزومر حتى على المصالح العليا فانحدرت المهمة و انحدرت معها الطائفة الرجـراجـية التي غدا دورها مقتصرًا على مواسم سنوية لا طعم إسلامي لها ولا نكهة فاضلة تشم منها، و تسلط عليها من لا يملك لا حسا و طـنـيا ولا خلقيا ولا علميا فافسد كل شيء.

وأخيرا: فإن امر التقديم يستلزم بحثا مستفيضا لا يمكن لتدخل واحد أو اثنين أن يفيا بكل ما ينبغي قوله في حقه، و مع ذلك فلنا الأمل في جلاله الملك محمد السادس أن يرد الأمور إلى نصابها و ينقي هذه الطائفة الرجـراجـية مما علق بها و ذلك بإسناد الأمور إلى مستحقيها لأنها طائفة أسست على تقوى من الله و رضوان.

وبعد:

فهذا كتاب (رجـراجة وتاريخ المغرب) قصدنا به المساهمة في الاطلاع على هذه الناحية الغنية: اثرا و تأثيرا، جهادا و تصوفا، علما و عملا، سياسة و اقتصادا، ثقافة و اخلاقا، كرما و تسامحا، متوخين أن يسد بعض الفراغ الذي يشكو منه تاريخنا الوطني. ولنا الأمل في أن نكون قد بلغنا قسطا من الذي إليه تشوفنا، و الله من وراء القصد و منه سبحانه و تعالى القبول و التوفيق ، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه.



## هوامش الفصل التاسع

- 126- في ندوة رجراجة بين الأمس و اليوم المقامة بالمدرسة العليا للتكنولوجيا-أسفي 19-2002/4/20 من قبل جمعية (أكوز-رتانة)
- 127- في ندوة رجراجة بين الأمس و اليوم المقامة بالمدرسة العليا للتكنولوجيا-أسفي 19-2002/4/20 من قبل جمعية (أكوز-رتانة)
- 128- مذكرات من التراث المغربي ج، 2 ص، 208/218
- 129- مذكرات من التراث المغربي ذمرجع سابق
- 130- العبرج: 6 ص 310 ط: دار الفكر 1981/1401
- 131- تاريخ إقليم أسفي / دفاثر عبدة دكالة رقم 1 ص: 252 توحيد المخزن بلاد عبدة /ليون فرينو - ترجمة، محمد نجيدي
- 132- تاريخ إقليم أسفي / دفاثر عبدة دكالة رقم 1 ص، 252 توحيد المخزن بلاد عبدة /ليون فرينو - ترجمة، محمد نجيدي
- 133- مذكرت مرجع سابق ص 210
- 134- رجراجة رائدة الرباطات بالمغرب الوسيط للحسين إسكان /تاريخ إقليم أسفي من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة ص: 211
- 135- ابن عذارى المراكشي ص: 112 عن تاريخ أسفي مرجع سابق.
- 136- الفقيه عبد الله بن محمد المقدم السعدي الرجراجي
- 137- كنا نظن أن أول ظهير عند الرجراجيين هو من العهد المريني إلى أن وجدنا عند الفقيه محمد بن أحمد العبدى الكانوني ما يلي: "حدثني صديقنا العالم البحاثة القاضي أبو الفضل السيد الحاج عبلس بن ابراهيم أنه في سنة 1325 هـ ، لما كان منخرطا في سلك الكتب في طالعة الدولة الحفيظية جاء مقدم رجراجة وهو رجل أشيب بخنشة من الظهائر الملوكية بتعظيمهم واحترامهم يريد تجسيد ذلك الاحترام، قال وقد رايت فيها ظهائر للمتونيين فمن بعدهم من الدول، ولم أر في عمري ظهائر لمتونية إلا عند ذلك المقدم الرجراجي. اليقوتة-نسخة 1357 ص 43
- وكان مقدم رجراجة ساعته هو السيد أحمد بن البشير المتوفى سنة 1340 هـ وهو بزلوية بن حميدة، ومعلوم أن هذه الزاوية كانت منسجمة مع المولى عبد الحفيظ، واعتقد أن هذا المقدم ليس المقدم العام لرجراجة لأن ظهائر زاوية بن حميدة أصابها تلف كبير بسبب المصلحة الشخصية والزبونية والسرقة، وقد تعرض لهذا صاحب (السيف المسلول) في كتبه (الفتوحات الربانية، في ذكر مناقب الطائفة للرجراجية)
- 138- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الإفرائي ص: 355 ط 1419-1998 /1 - تحقيق وتقديم، عبد اللطيف الشاذلي .
- 139- ثلاثة ألقاب كانت شائعة في العهد السعدي، الشيخ وهو خالص بالسلطين، و"بابا" وهو خالص بابناء السلطان والمقدم خاص بكبرياء متطوعي المجاهدين (المهدي الوزاني- الكتابة- التصوف- التاريخ) ص: 84
- 140- السيف المسلول ج: 1407/1987 /1
- 141- نفس المرجع
- 142- نفس المرجع

ملحق





في داره

وقد الله على سيدنا ومولانا محمد وآله



خرامنا اية خير امناء رجاجة ومعلم الله وسلاح عليكم ورحمتنا على من كان له ويعرفه  
كتابكم اخبرتم به اننا خرجنا من جنوب مكة الى القاهرة فوصلنا الى القاهرة  
بالقاهرة فذكر لكم في ذلك ما ذكره من زيارتنا رجاجة منكم كما عرفتم الشاهجة  
لما اضر بكم من كثر الشوق والغيام المظلمة وتوجه من يقف معكم على حزنكم ومع اننا  
لشاهجة كذلك ليحصل التعب للجميع وطال الكلال بالانزال امتا كلهم اية ذرية  
نعم واخذ الزكاه بغير اذنا لكم في ذلك كما اننا نغنيكم من امناء الشاهجة وليسوا  
خرمكم على من في العادة خارجا عن الغيبة وامنا توجه من يقف معكم على  
حزنكم بيسمى كباية مع من عينا من طبيعة الغمامة والغيام والحمد لله وقوته  
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

طه حسين الامناء رجاجة

سنة ١٩٩٨ هـ

مولد من الحبوب

على الله على من لا نبي بعده

الحمد لله



الى اية خير امناء رجاجة ومعلم الله وسلاح عليكم ورحمتنا على من كان له ويعرفه  
كتابكم اخبرتم به اننا خرجنا من جنوب مكة الى القاهرة فوصلنا الى القاهرة  
بالقاهرة فذكر لكم في ذلك ما ذكره من زيارتنا رجاجة منكم كما عرفتم الشاهجة  
لما اضر بكم من كثر الشوق والغيام المظلمة وتوجه من يقف معكم على حزنكم ومع اننا  
لشاهجة كذلك ليحصل التعب للجميع وطال الكلال بالانزال امتا كلهم اية ذرية  
نعم واخذ الزكاه بغير اذنا لكم في ذلك كما اننا نغنيكم من امناء الشاهجة وليسوا  
خرمكم على من في العادة خارجا عن الغيبة وامنا توجه من يقف معكم على  
حزنكم بيسمى كباية مع من عينا من طبيعة الغمامة والغيام والحمد لله وقوته  
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده



[illegible]

۱۳۴۲ (۱۳۴۲ هجری)

[illegible]

(رسم حادثه قتل سنة 1319 بمیدان زاویه بی حمیدیه)

[illegible]

ظهير عظيمي لتقريب كلاند

1324 ۱۳۲۴



















# الفهرست

4	الإهداء
5	التقديم
6	إطلالة
7	الفصل الأول
7	التعريف
7	من هم رجراجة
9	الفصل الثاني
9	صحبتهم وزواياهم
9	أ-الصحبة
11	محاولات للتشكيك
13	ب- زواياهم
15	الفصل الثالث: الدور الجهادي والصوفي لرجراجة
15	ابن خزار والأدارة ورجراجة
17	رجراجة والمرابطون في صف واحد وفي القرون الأخرى
19	نماذج رجراجية متصوفة في هذا العهد
20	حينما ضعفت الدولة
21	ومجاهدون آخرون ومتصوفون
21	بطولات دمرت المخطط الغربي المسيحي
22	وفي العهد العلوي
23	نماذج من المتصوفين العلماء
27	الفصل الرابع: رجراجة والسياسة
27	مع المرابطين والموحدين
29	علاقة المرابطين والموحدين بالمتصوفين
33	بين المرينيين والسعديين
36	أدوار أربعة
36	الدور الأول
37	الدور الثاني
38	الدور الثالث
39	الدور الرابع
41	رجراجة والعلويون
41	مراحل أربع
41	1- التحقق من صحبتهم

42	2- إقامة سبعة رجال بمراكش
45	3- نهـلب الصوفي الشيخ محمد ابن حميدة لمكناس
45	إرجاع الدور وتكريم الصحابة
46	تقلص نفوذ الزوايا
46	قنوات أخرى:
47	المقدمون
47	نموذج المقدم سيـسي
49	العلماء المتصوفون
50	القضاة
50	رجال السلطة
55	الفصل الخامس: العلم والثقافة عند الرجـراجـيين
55	أ- العلماء
55	نماذج لبعض المدارس العلمية خارج مدار الضاحية
57	القضاة
59	الفصل السادس: بين مواسم الرجـراجـيين ودورهم المرتقب
59	مواسم جديدة بالاهتمام
60	الدور المرتقب
61	مقترحات
	الفصل السابع: المقاومة بالزوايا الرجـراجـية
63	زاوية بنحميدة نموذجا
63	تقديم
63	دور الزوايا الرجـراجـية
64	رجـراجـة والأسـر الحاكمة
64	الرجـراجـيون والحركة الوطنية
65	الزوايا الرجـراجـية ونفي محمد الخامس
65	نوع العمليات
65	زوايا ابن حميدة
66	مقاومة الاستعمار الفرنسي
67	نماذج من خطاب طنجة 1947
68	محطات رئيسية
69	الفصل الثامن: زوايا رجـراجـية واسهاماتها: زوايا إقليم أسفي
69	مدخل
69	معوقات
70	دور التأسيس
71	الزاوية الرجـراجـية وأطروحة الاندماج والتمايز



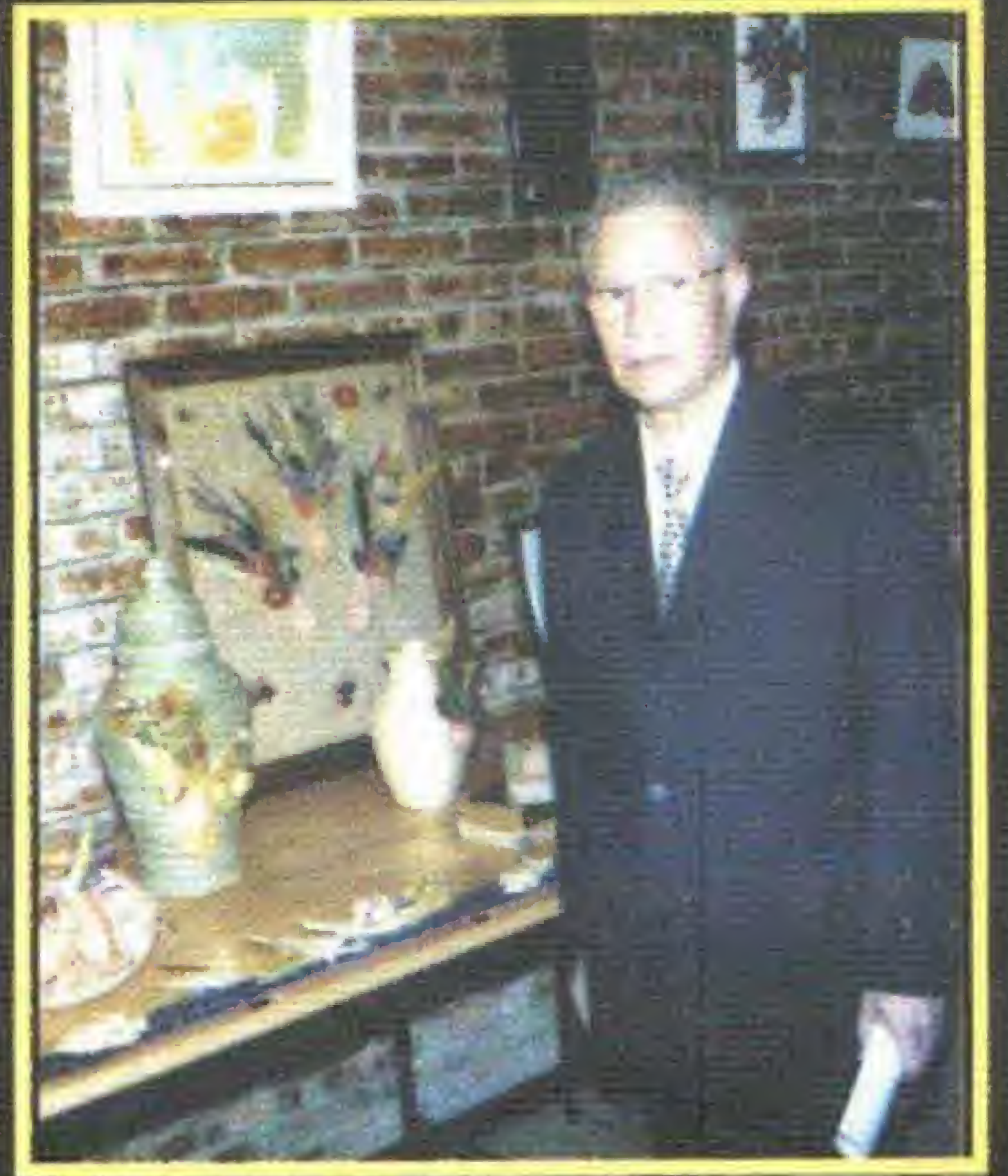
72	ادوار مختلفة
72	أ- الناحية الصوفية
72	ب- الناحية الجهادية
72	ج- الناحية العلمية
73	د- الناحية السياسية
73	الزوايا الرجراجية: إقليم آسفي
73	1- زاوية سيدي عيسى بوضاجية
74	2- زاوية سيدي احساين
76	3- زاوية شاكر بن يعلا
77	4- زوايا أخرى بالاقليم
	الفصل التاسع:
81	1- التأثير الاقتصادي الرجراجي في الناحية
81	استهلال
81	عصر الامة والدولة
82	مرتكزات
82	أ- المجال الفلاحي
83	ب- المجال الصناعي
84	ج- المجال التجاري
84	2- مقدمو رجراجة وعلاقتهم بالسلطة المركزية
84	مدخل
85	رجراجة والدول المتعاقبة
86	علاقة ممتازة
86	ومع الشرفاء السعديين والعلويين
87	ظاهرة التقديم
88	دور فوق العادة
89	انحدار في مهمة المقدم
91	الملحق
98	الفهرست





## صدر للمؤلف:

- الحياة وأنا / شعر 1968
- الهاربة: ج 1 / رواية 1973.
- السيف المسلول / تحقيق 1987
- شاعر الحمراء بين الواقع والادعاء، ج. 1 - 1999
- الفقيه محمد بن أحمد العبدى الكانوني، حياته وفكره ومؤلفاته - 2000
- شاعر الحمراء بين الواقع والادعاء، ج. 2 - 2001
- جواهر الكمال في تراجم الرجال، ج 2 تحقيق - بمشاركة 2004.



إن الناحية الرجائية الغنية بهوفيتها وجهادها  
وانسانها واقعتها وعلمائها في حاجة إلى كتاب يبين  
لك عن طريق اللوحة والاشارة والمهولة والبرهان  
بغية المشاركة في تيسير بلورة جديدة تقناها موضوعية  
يقدرنا نستطيع لمعرفة هذه الناحية أكثر والاطلاع  
على ما أثرها وفخيتها كجبة رجالها السبعة دون التحويل  
ممل أو تقهير ممل  
من الإكالة